الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي

كلية الآداب واللغات

قسم الأدب واللغة العربية

الظواهر الأسلوبية ودلالاتها في سورة النحل

مذكرة معدة ضمن متطلبات نيل شهادة اللسانس (ل.م.د) في الأدب واللغة العربية تخصص : لغة.

إعداد الطالبات

* ريحانة بصديق
* أم الخير بلجاني
* نجاح شوقي

إشراف الأستاذ :

فريد خلفاوي

السنة الجامعية : 1436 ـ 1437 هـ / 2015 ـ 2016 م

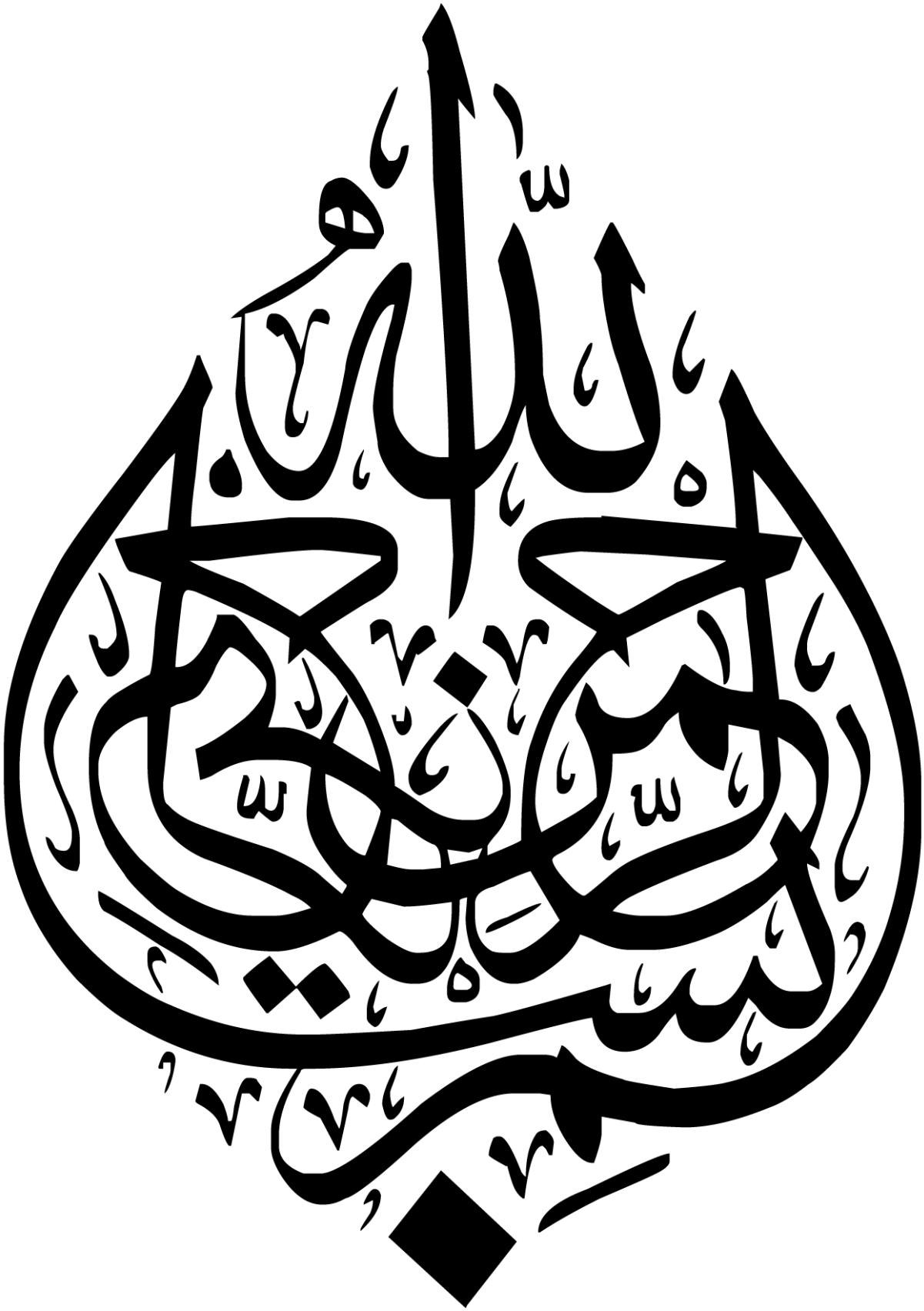

شكر وعرفان

نتوجه بالشكر الجزيل إلى الّذين ساعدونا في إنجاز هذا البحث ولو بكلمة سواء من قريب أو من بعيد.

كما نخص بالشكر الأستاذ المشرف " فريد خلفاوي " الذي وجدناه معلماً ومرشداً حكيما ، والذي لم يبخل علينا بجهده ووقته ونصائحه وتوجيهاته الصائبة.

كما نتوجه بالشكر إلى جامعة " حمه لخضر" . الوادي . وبالخصوص أساتذتنا في قسم اللغة العربية وآدابها اعترافا لهم بالجميل.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزيهم جميعا الجزاء الأوفى ، فإنّما يحمل كل على أهل الفضل.

مقدمة

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعود بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، ونشهد أنّ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، ونشهد أنّ محمدا عبده ورسوله.

إنّ أفضل العلوم على الإطلاق وأولاها بالتفضيل القرآن المجيد ، كتاب رب العباد الذي أنزله على عبده ورسوله محمد النبي الرشيد.

والقرآن الكريم هو كلام ربنا ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم ومنبع العلوم ، ولقد اعتنى المسلمون بكتاب ربهم منذ نزوله ، وأدركوا أنّ لا عز لهم ولا رفعة في دنياهم وآخرتهم إلاّ بتمسكهم به والالتزام بما جاء فيه ، فعكفوا عليه حفظا وتحفيظا وفهما وتفهيما وتدبرا وتفسيرا ، فنال هذا الكتاب السماوي من اهتمام المسلمين ما لم ينله كتاب سماوي آخر.

فمنهم من ألّف في أسباب نزوله ومنهم من ألّف في فضائله ومنهم من ألّف في قراءاته ومنهم من ألّف في تفسيره وبيان معانيه ، ومنهم من ألف في غير ذلك من علومه ، فكان ثمرة ذلك أن زخرت المكتبة الإسلامية بهذه المؤلفات العظيمة ، وهذا ما دفعنا إلى اختيار سورة من سوره الكريمة ، ألا وهي" سورة النحل" التي حوت على الكثير من القضايا اللغوية والأسلوبية ، والمشتملة على الشواهد الكثيرة التي تدل على عظمة القرآن الكريم وإعجازه ، ولأنها لم تدرس من قبل على حد علمنا ، وسنقوم بدراستها تحت عنوان " الظواهر الأسلوبية ودلالاتها في سورة النحل " بهدف الكشف عن ظواهرها اللغوية ودلالاتها ، بالإضافة إلى الرغبة في استنطاق سورة النحل أسلوبيا والكشف عن أسرار التعبير القرآني فيها ، ممّا يساعد على إدراك خصائص لغة القرآن الكريم ، وذلك من خلال طرح الإشكالية التالية :

ما هي الظواهر الأسلوبية في سورة النحل ؟ وكيف برزت من خلال مستويات التحليل الأسلوبي ؟ وأين تكمن دلالاتها ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات قمنا بتقسيم بحثنا بعد المقدمة إلى فصلين ، هما كالآتي:

جعلنا الفصل الأول نظري يدور حول الدراسات الأسلوبية في القرآن الكريم ، وقسمناه إلى مبحثين: فالأول يندرج تحت عنوان "الأسلوب والأسلوبية" ، حيث انقسم إلى ستة مطالب ، المطلب الأول يقوم بتعريف الأسلوب والأسلوبية و المطلب الثاني يبين محددات الأسلوب ، أمّا المطلب الثالث فتناولنا فيه مفهوم الأسلوب عند القدامى والمحدثين ، والمطلب الرابع وضّحنا فيه نشأة الأسلوبية ، أمّا المطلب الخامس فقد درسنا فيه علاقة علم الأسلوب و الأسلوبية بعلم اللغة واللسانيات والبلاغة ، والمطلب السادس تطرقنا عبره إلى مستويات التحليل.

أمّا فيما يخص المبحث الثاني المعنون بالمقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية قسمناه إلى خمسة مطالب وخصصنا لكل مستوى مطلب ، وبيّنا ماذا يمكن أن يدرس في كل مستوى ، وأول هذه المستويات المستوى الصوتي ، وثانيها المستوى اللفظي وثالثها المستوى التركيبي أو التأليفي وآخرها المستوى البلاغي.

أمّا الفصل الثاني فهو تطبيقي درسنا فيه السورة وقمنا بتحليلها عبر مستويات التحليل الأسلوبي ، مبرزين دلالة كل ظاهرة داخل كل مستوى ، وهذا الفصل قسمناه إلى خمسة مباحث ، حيث درسنا في المبحث الأول سورة النحل من حيث تعريفها وسبب تسميتها ونزولها ، والمبحث الثاني درسنا فيه المستوى الصوتي حيث تعرضنا للبناء الصوتي للكلمات وإلى إيقاع السورة وانسجامها الموسيقي ، أمّا المبحث الثالث درسنا فيه المستوى الدلالي أبرزنا ألفاظا غنية بدلالاتها ، كثيفة بإيحاءاتها ، والمبحث الرابع درسنا من خلاله المستوى التركيبي باحثين في أساليب الشرط المتنوعة ، والحال ، والتقديم والتأخير ،وهم أقرب إلى علم النحو ، أمّا المبحث الخامس والأخير هو المستوى البلاغي حيث ركزنا على أهم الصور البلاغية وهي الاستعارة والتشبيه والمجاز ، وسجلنا في خاتمة البحث ما توصلنا إليه من نتائج.

وقد تنوعت مصادر البحث ومراجعه من كتب الإعجاز القرآني والتفاسير المعتمدة وكتب علم الأصوات والصرف والنحو والبلاغة والمعجمات ، ولا سيما التفاسير التي تهتم بالجوانب البلاغية والأسلوبية ، وفي مقدمتها "التحرير والتنوير" للإمام عاشور ، و"الكشاف" للعلامة الزمخشري ، و"روح المعاني" للألوسي ، و"التفسير الكبير" للرازي ، كما اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي لأنّ به نستطيع تقصي الظواهر الأسلوبية في النص بوصفها بنية موحدة ، ولأنه يقوم على أساس وصف هذه الظواهر ثم تحليلها ، وكأي عمل لابد من وجود صعوبات تواجهه ، ومما واجهنا نحن يمكن إجماله في: شساعة الموضوع وتشعبه مما أدى إلى عدم إحاطتنا بكل جوانبه.

مدخل

إنّ الأسلوب من أهم العلوم التي توحد بين علمي اللغة والأدب ، دراسته ينبغي أن تتم في المنطقة المشتركة بينهما كونه ركيزة لغوية ، ونوعا من التعبير المنفرد بخواص تعبيرية لغوية وغير لغوية ، كما يرى الدكتور كمال بشر أنّ علم الأسلوب ينتمي إلى مجالين :[1]

ـ مجال الدراسات اللغوية وذلك بالنظر إلى الأسلوب على أنّه بناء أو هيكل لغوي عناصره مكونة من وحدات لغوية جاءت متسقة وفقا لمعايير لغوية على وجه من وجوه قواعد اللغة المعينة.

. مجال الأدب ونقده بوصفه نوعا من التعبير منفردا بخواص تعبيرية مميزة لغوية وغير لغوية ، وبوصفه نمطا خاصا من الكلام يوفي أغراضا أدبية وثقافية واجتماعية و نفسية

وإذا كانت اللغة بناء إلزاميا على الأديب من حيث الشكل فإنّ الأسلوب هو تلك الإمكانات التي تحققها اللغة ، ويستغل أكبر قدر ممكن منها الكاتب أو صانع الجمال الماهر الذي لا يهمه تأدية المعنى وحسب ، بل ينبغي أيضا الوصول إلى المعنى بأوضح السبل وأحسنها وأجملها ، وإذا لم يتحقق هذا الأمر فشل الكاتب وانعدم معه الأسلوب[2]

[1] ينظر: كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (دط)، القاهرة، 2005،ص21.

[2] ينظر: ريمون طحان، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت لبنان، (دت)، ص116، 117.

الفصل الأول

الفصل الأول: الدراسات الأسلوبية في القرآن الكريم فقة علم الأسلوب و الأسلوبية بعلم

المبحث الأول: الأسلوب و الأسلوبية

المطلب الأول: تعريف الأسلوب و الأسلوبية

المطلب الثاني: محددات الأسلوب

المطلب الثالث: مفهوم الأسلوب عند القدامى و المحدثين

المطلب الرابع: نشأة الأسلوبية

المطلب الخامس: علاقة علم الأسلوب و الأسلوبية بعلم اللغة و الليسانيات و البلاغة

المطلب السادس: مستويات التحليل

المبحث الثاني: المقاييس الأسلوبية في الدراسة القرآنية

المطلب الأول: المستوى الصوتي

المطلب الثاني: المستوى اللفظي

المطلب الثالث: المستوى التركيبي

المطلب الرابع: المستوى الدلالي

المطلب الخامس: المستوى البلاغي

المبحث الأول : الأسلوب والأسلوبية.

الأسلوبية فرع ألسني جديد يبحث من خلال أبحاثه ودراساته عن إيجاد مبررات فلسفية لموضوع الأسلوب بجميع آلياته وتقنياته الإجرائية والجمالية ، وتعنى هذه الدراسة بتتبع جهود بلاغية لمفكرين قدامى عبر آرائهم الاستشرافية التي وجد أنّها تقترب بشكل أو بآخر من بعض ملامح الدرس الأسلوبي المعاصر .

المطلب الأول : تعريف الأسلوب والأسلوبية :

يرى كثير من الدراسيين أنّ كلمة أسلوبية لا يمكن أنّ تُعرّف بشكل مرخص ، و يرجع هذا إلى مدى رحابة الميادين التي صارت هذه الكلمة تطلق عليها ، إلاّ أنّه يمكن القول أنها تعني شكل من أشكال التحليل اللغوي لبنية النص ، ومن ثم يمكن تعريف الأسلوبية بأنّها " فرع من اللسانيات الحديثة تختصص بالتحاليل التفصيلية للأساليب الأدبية أو الاختيارات اللغوية التي يقوم بها المحدثون والكتابة في السياقات الأدبية وغير الأدبية" [1]

أمّا لفظة أسلوب (style) فهي مشتقة من الأصل اللاتيني لكلمة أجنبية تعني القلم وفي كتب البلاغة اليونانية القديمة كان الأسلوب يعد إحدى وسائل إقناع الجماهير ، فكان يندرج تحت علم الخطابة خاصة الجزء الخاص باختيار الكلمات المناسبة لمقتضى الحال[2]

وتتناول الدراسات الحديثة مفهوم الأسلوب من زوايا متعددة في محاولة الوصول إلى مفهوم محدد يمكن على أساسه أن تقوم دراسة موسعة تستوعب أنواع الأداء في المستويات المختلفة ، ويبدو أنّ الدراسات القديمة لم تغفل عن هذا الجانب وإن كان تناولها له محدودا بحدود المعرفة القديمة في بيئات النقد القديم أو في بيئات اللغويين القدامى[3].

---

[1] يوسف أبو العدوس، الأسلوبية بين الرؤية و التطبيق ، دار المسيرة للنشر و التوزيع ، ط 1 القاهرة ، 1427 ، 2007 ،ص 35.

[2] المرجع نفسه، ص ن.

[3] محمد عبد المطلب ، البلاغة و الأسلوبية ، إشراف محمد علي الملكي، دار نوبل ، ط1 ،القاهرة ، 1994،ص 17.

أولا : تعريف الأسلوب لغة :

ورد في لسان العرب " ويقال للسطر من النخيل أسلوب ، وكل طريق ممتد فهو أسلوب ، والأسلوب الطريق والوجهة والمذهب ، ويجمع أساليب ،يقال أخذ فلان في أساليب من القول " أي أفانين منه " [1]

وفي المعجم الوسيط : " الأسلوب " الطريق ، فيقال : سلكت أسلوب فلان في كذا ، طريقته ومذهبه ،والأسلوب طريقة الكاتب في كتابته ، والأسلوب الفن ، ويقال : أخذنا في أساليب القول أي في فنون متنوعة ، والأسلوب الصنف من النقل ونحوه وجمعه أساليب[2]

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري : وسلكت أسلوب فلان ، طريقته وكلامه وتناول مادة " سلب " فيقول : سلبه ثوبه فهو سليب ، وأخذ سلب القتيل وأسلاب القتلى ، وسلب على ميتها فهي مُسلب

فالسلب كما هو معروف : هو الأخذ والانتزاع و الإنسان مسلوب إذا كان منزوع الملكية من شيء كان يملكه ، والأسلاب ، ويقال انسلبت الناقة إذا أسرعت في سيرها حتى كأنها خرجت من جلدها أي انطلقت مع الريح[3]

تعريف الأسلوب اصطلاحًا :

لقد تعددت مفاهيم الأسلوب في الدرس اللغوي الغربي و العربي ، ونحن هنا نختار مجموعة من تعريفاتهم المشهورة محاولين في هذا الصدد أن نحصر هذا المفهوم من جميع نواحيه الفنية والأدبية.

[1] ابن، منظور محمد إبن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر ، ط 3 بيروت ، 1994م،ص 258.

[2] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، جمهورية مصر العربية، ص 36.

[3] الزمخشري ، أساس البلاغة ، دار الفكر،ط1 ،لبنان، 2000م، ص 304.

. شارل بالي يعرف الأسلوب على أنّه " مجموعة العناصر اللغوية المؤثرة عاطفيا في المستمع والقارئ ، وهو تفجير الطاقات التعبيرية الكامنة في اللغة من حيّز عالمها الافتراضي إلى حيز الوجود اللغوي"[1].

ـ كما نجد أنّ حازم القرطاجني قد حاول أن يجمع بين مفهوم أرسطو للأسلوب على "أنّه بمثابة التعبير ووسائل الصياغة" ، وهو ما يعرف عند الجرجاني بمفهوم النظم ، فحازم هنا يريد ،ن يوضح لنا الفرق بين الأسلوب والنظم لأن الأسلوب يحصل عن كيفية الاستمرار في أوصاف جهة من جهات عرض القول ، وكيفية الاطراد من الأوصاف جهة إلى جهة ، والنظم هيئة تحصل عن التأليفات اللفظية[2].

. ويعرفه بيرجيرو على أنّه " طريقة في الكتابة ، هو من جهة أخرى طريقة للكتابة لكاتب من الكتاب ولجنس من الأجناس ، ولعصر من العصور و الأسلوب عنده كلمة stilus أي مثقب يستخدم في الكتابة ، فهو طريقة في الكتابة وهو استخدم الكاتب لأدوات تعبيرية من أجل غايات أدبية[3].

ثانيا : تعريفات الأسلوبية :

يعترف الكثير من النقاد الدارسين أنّ كلمة أسلوبية سواءً كانت في اللغة العربية أم في اللغات الأجنبية ، مدرسة لغوية تعالج النص الأدبي من خلال عناصره ومقاومته الفنية وأدواته الإبداعية متخذة من اللغة والبلاغة جسرًا تصف به النص الأدبي وقد تقوم أحيانا بتقييمه من خلال منهجها القائم على الاختيار والتوزيع مراعية في ذلك الجانب النفسي والاجتماعي للمرسل والمتلقي ، ومن ثمة

[1] بيرجيرو ، الأسلوبية، ت ر، منذر عياشي ، دار الحاسوب ، ط 2 ، بيروت ، 1994،ص 13.

[2] _ حازم القرطجني ، أبو الحسن ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء تح، محمد بن خوجة، دار الكتب الشرقية، (د ط)، ص 37.

[3] المرجع نفسه، ص 14.

فإن الدراسة الأسلوبية عملية نقدية ترتكز على الظاهرة اللغوية وتبحث عن أسس الجمال المحتمل قيام الكلام عليه وهذه جملة من التعريفات المختلفة لهذا المصطلح في الدرس اللغوي الغربي والعربي :

أ . في الدرس الغربي:

جاء تعريف رومان جاكبسون للأسلوبية من منطلق البحث عن الشعرية في النص الأولي ، في البحث عمّا يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولا وعن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانيا[1].

ويرى جاكبسون أيضا أنّها فن من فنون شجرة اللسانيات ، فجاكبسون هنا من المؤيدين إلى النظرة التي ترى أنّ الأسلوبية فرع من فروع اللسانيات الحديثة ، ومن هذه الآراء لجاكبسون يمكن القول أن الأسلوبية عنده فرع من فروع اللسانيات الوصفية الحديثة ، هدفها البحث والتحليل في النصوص الأدبية لإبراز الخصائص والصفات الجمالية والفنية والكشف عن هويات الكتّاب وميولاتهم[2].

أمّا شارل بالي فيري أنّ الأسلوبية تدرس الصيغ التعبيرية في اللغة الأثر ، استنادًا إلى مضمونها المؤثر ، أي أنّها تدرس الأفعال والممارسات التعبيرية في اللغة بالنظر إلى الإعراب عن الأحاسيس بواسطة اللغة ، وبالنظر إلى تأثير اللغة في الأحاسيس ، بمعنى آخر تدرس الأسلوبية الأفعال والممارسات التعبيرية في لغة منظمة إلى حد رؤية أثرها

المضموني ، من حيث التعبير عن الأعمال الوجدانية باللغة و رؤية أثر الأفعال اللغوية في الوجدان الحسي[3].

[1] يوسف أبو العدوس، الأسلوبية بين الرؤية و التطبيق، ص 174.

[2] عبد السلام المسدي، الأسلوبية و الأسلوب ، الدار العربية للكتاب ، (د ط)، تونس، 1977، ص 44.

[3] فتح الله سليمان، الأسلوبية مدخل نظري و دراسة تطبيقية، دار الآفاق ، ط2 ، بيروت، (د ت)، ص 35.

كما نجد ميشال ريفاتير يعرف الأسلوبية أو علم الأسلوب بقوله : هو علم لغوي حديث يبحث في الوسائل اللغوية التي تكسب الخطاب الاعتيادي أو الأدبي خصائصه التعبيرية والشعرية فتميزه عن غيره[1].

نجد هنا ريفاتير كأنه يحاكي جاكسيون في نظرته إلى الأسلوبية ، بهذه النظرة الوظيفية التعبيرية والبحث في الشعرية ومميزتها .

ولريفاتير آراء رائعة مفيدة تخص البحث الأسلوبي ، فهو يرى أنّ الأسلوبية علم يعنى بدارسة الآثار الأدبية دراسة موضوعية ، تنطلق من اعتبار النص بنية داخلية ، وأنّ الأسلوبية تعنى بالنص في ذاته بمعزل عن كل ما يجاوره من اعتبارات تاريخية أو اجتماعية أو نفسية ، وهي تهدف إلى تمكين القارئ من إدراك خصائص الأسلوب الفني إدراكا نقدياً مع الوعي بما تحققه تلك الخصائص من غايات وظيفية ، وغايتها تخليص النقد الأدبي من المقاييس النظامية والجمالية لأنّها مقاييس معيارية تشد إلى أحكام قبلية [2].

أمّا بيرجير الناقد الفرنسي فيرى أنّ الأسلوبية بلاغة حديثة ذات شكل مضاعف ، وأنّها علم التعبير ، وهي نقد للأساليب الفردية ، كما نجده في موقف آخر يعرف الأسلوبية بقوله : "الأسلوبية هي البعد اللساني لظاهرة الأسلوب طالما أنّ جوهر الأثر لا يمكن النفاد إليه عبر صياغته إلى بلاغته [3].

في الدرس العربي :

يقدم الكثير من الدراسيين والنقاد العرب الذين كتبوا في الأسلوبية تعريفاتهم لها ، مرتبطة بالنظر إليها من خلال الزوايا الغربية لهذا المصطلح على أنّها علم مستحدث مرتبط بالدراسة اللسانية

[1] عبد السلام المسدي ، محاولات في الأسلوبية الهيكلية، مجلة الموقف الأولى ، العدد 354، إتحاد الكتاب العربي، دمشق سوريا ، 1997،ص 12.
[2] المرجع نفسه ، ص 15.
[3] ينظر: بير جيرو ، الأسلوبية ،ص 90، 92.

اللغوية التي ظهرت بوادرها في مطلع القرن التاسع عشر ، وفيما يلي جملة من أبرز النقاد الذين تناولوا هذا المصطلح وتعريفاتهم له ، مع بعض الشرح لهذه التعريفات :

. عبد السلام المسدي ، جاء في ترجمة مصطلح الأسلوبية حاملا لثنائية أصولية ، سواء انطلقنا الدال اللاتيني وما تولد عنه ، من مختلف اللغات الفرعية أو من المصطلح الذي استقرت ترجمته إلى العربية ، وقفنا على دال مركب "جدر أسلوب " style ولاحقته هي eque فالأسلوب ذو مدلول إنساني ذاتي نسبي ، ولاحقته تختص فيما يختص به البعد العلماني العقلي الموضوعي ، ويمكن في كلتا الحالتين تفكيك الدال الاصطلاحي إلى مدلوله بما يطابق عبارة "علم الأسلوب "[1]

ـ أمّا محمد عبد المطلب فيرى أنّ : علم الأسلوب هو الذي يطلق عليه في الفرنسية stylistque وكلمة style; staylas بمعنى عود من الصلب ، كان يستخدم في الكتابة ثم أصبح يطلق على طريقة التعبير ، وفي القرن العشرين ولد تحت كلمة "الأسلوبية " مفهومان مختلفان هما :

ـ دراسة تتعلق في الصلة بين الشكل والمضمون .

ـ دراسة تتعلق بالبحث عن الصلات التي تربط بين التعبيرات الفردية والجماعية [2]

ويرى الأسلوبيون أنّ أي تغيير في بينة التركيب بتقديم أو تأخير أو احتمال أو تنكير .... يأتي استجابة لنسق يتطلبه السياق ، كما أكدوا نتيجة الارتباط بين التغير في التركيب اللساني والأسلوب ، على أنّ أي تغير في التركيب سيفرض معنى آخر تبعًا للاختلاف الحاصل في التركيب [3]

[1] عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص 33، 34.

[2] محمد عبد المطلب ، البلاغة و الأسلوبية، ص 185، 186.

[3] نور الدين السد، الأسلوبية و تحليل الخطاب ، ج1، دار هومة، (د ط)، الجزائر، (د ت)ص 170.

المطلب الثاني : محددات الأسلوب :

انطلاقا من اعتبار الأسلوب نظامًا لسانيًا خاصًا ، يسعى النقاد الأسلوبيون إلى وضع محددات تمكّن من تمييز الأسلوب الأدبي عن غيره من أنماط الأساليب الإبلاغية الأخرى وهذه المحددات هي :

1. الاختيار: يرى الأسلوبيون أنّ الإبداع الأسلوبي يتجلى أول ما يتجلى في الاختيار ، لذلك عوّلوا عليه في تعريفهم للأسلوب ، فقالو: " الأسلوب محصلة مجموعة من الاختيارات المقصودة بين عناصر اللغة القابلة للتبادل"[1]

ويرى جاكبسون أنّ كل خطاب لابد أن يتم وفق إسقاط محور الاختيار على محور الترتيب إلاّ أنّ الخطاب الأدبي تزداد فيه كثافة الشحن بطاقة شعرية تتحقق عن طريق الانزياحات التي تحقق الوظيفة الأدبية[2]

ويفرق الأسلوبيون بين نوعين من الاختيار ، اختيار أسلوبي واختيار غير الأسلوبي فالاختيار غير الأسلوبي وهو الاختيار المقامي . ويكون مقاميا إذا كان بين سمات مختلفة تعني دلالات مختلفة ، أمّا الاختيار الأسلوبي ، فيكون بين سمات تعني دلالة واحدة أي يكون بين الامكانيات المتساوية دلالياً. وتم تحديد أربعة أنماط للاختيارهي[3] :

1 . اختيار غرضه التوصيل ، لأنّه يمكن أن نجد في النصوص الأدبية نية توصل المقاصد الجمالية .

2 . اختيار موضوع الكلام

3. اختيار الشفرة " الكود " على مستوى تعدد اللغات

4. اختيار على مستوى الأبنية النحوية الخاضعة لقواعد النحو.

[1] صلاح فضل ، علم الأسلوب ميادئه و إجراءاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب (د ط)، مصر،1984، ص 120.
[2] المرجع نفسه، ص 121.
[3] نور الدين السد، الأسلوبية و تحليل الخطاب، ص 162.

1 : التركيب : استقطبت ظاهرة التركيب اهتمام النقاد الأسلوبيين وذلك باعتبارها عصب البحث الأسلوبي بها يحقق الخطاب الأدبي انسجامه وتكامله ، وتسبق عملية التركيب عملية الاختيار ، ومن التلازم بين العمليتين يتولد الأسلوب .

ويتحدد مفهوم التركيب عند الأسلوبيين بأنه عملية يركب فيها العقل ويؤلف بين العناصر المختلفة لتكوين البناء اللغوي ، ويتم التأليف بين الوحدات اللغوية بنوعين من العلاقات ، علاقات سياقية أو حضورية تربط بين العناصر الحاضرة في البنية [1].

2: الانزياح: عدّ الكثير من الأسلوبيين الانزياح جوهر العملية الإبداعية ، بل أداة مهمة من أدوات الاتصال اللغوي الدلالي ، الذي يحدث ما يسمى عند رولان بارت بلذة النص ، ويتحدد الانزياح عندهم بأنّه خرق للقواعد حيناً ، واللجوء إلى ما ندر من الصيغ حيناً آخر ، فالانزياح كمحدد أسلوبي يتولد من منظورهم نتيجة الخروج عن النمط التعبيري المتواضع عليه.

وقد حاول بعض الباحثين الغربيين تصنيف الانزياحات في خمسة نماذج :[2]

1) تصنف الانزياحات تبعا لدرجة انتشارها في النص ، أو بوصفها انزياحات مستوضعة في سياق النص كالاستعارة ، أو بوصفها انزياحات شاملة تؤثر في النص بأكمله كالتكرار الذي يمكن رصد انزياحه طبقا لعمليات إحصائية.

2) تصنيف الانزياحات طبقا للقواعد اللغوية ، حيث تكون هناك انحرافات سلبية تتمثل في تخصيص القاعدة العامة ، وإيجابية تشتمل في إضافة قيود معينة إلى ما هو قائم بالفعل كالقافية مثلا.

3) تصنيف الانزياحات بالاعتماد على العلاقة القائمة بين القاعدة والنص مع تحليله ، فيتم التمييز بين انزياحات داخلية ، وأخرى خارجية في انفصال وحدة لغوية عن القاعدة المهيمنة على النص ، وتتمثل الخارجية في اختلاف أسلوب النص عن القاعدة الموجودة في اللغة المدروسة.

[1] المرجع نفسه، ص 172.

[2] عبد السلام المسدي، محاولات في الأسلوبية الهيكلية، ص 173.

4) تصنّيف الانزياحات طبقًا للمستوى اللغوي الذي تعتمد عليه ، فيتم التميز بين الانزياحات الخطية ، والصرفة ، والمعجمية والدلالية والنحوية.

5) تصنيف الانزياحات طبقًا لتأثيرها على مبدأي الاختيار والتركيب ، فتكون هناك انزياحات تركيبية تتدخل بالسلسلة السياقية الخطية للإشارة اللغوية عندما تخرج عن قواعد النظم . و انزياحات استبدالية تخرج عن قواعد اختيار الرموز اللغوية كوضع المفرد مكان الجمع[1]

المطلب الثالث : مفهوم الأسلوب عند النقاد القدامى والمحدثين :

لقد خضع مصطلح علم الأسلوب style لفكرة الثبات والتحول ، فكلمة stylisctiesثابتة في التاريخ اللغوي الغربي ، وتطورت دلاليا حتى صارت في بداية هذا القرن مصطلحات تدل على مفهوم ما ، ويمكن الجزم أنّ مفهومها متحول متجدد ، ففي بداية القرن العشرين كان يدل على الأسلوب ، وفيما بعد صار يدل على الأسلوبية التي كانت سبب وجود أسلوبيات كثيرة باحثة له قد تصل إلى حد التنافر ، وقد يفسر هذا الوضع لكثرة الحدود والتعريفات والمفاهيم التي وقع عليها هذا المصطلح ، فكل باحث له نظرته ورأيه حول التحولات التي طرأت في زمنه أو بحثه فجاءت اللفظة stylixtics مصطلحا كثرت مفاهيمه بعد جمعها وتنقيحها على ثمانين مفهوماً وكل هذه المفاهيم تندرج تحت قائمتين ، الأولى قائمة على الأسلوب ، والثانية قائمة على الأسلوبية ، وقد تكون أغلب المفاهيم المتباعدة واقعة في الأسلوبية لا في علم الأسلوب ، لأنّ علم الأسلوب أكثر وضوح من الأسلوبية الموضوعية ، لذا يتعامل بها من جهة ، ومناهج النقد الأدبي التي ارتكز عليها من جهة أخرى ، فالذي ارتكز على المنهج الفني مثلا يكون مفهومه مختلفاً عن الذي ارتكز على المنهج الاجتماعي ضرورة وهكذا ، وللخلوص من هذه الإشكالية حاول بعض الغربيين تقييد الأسلوبية بصفة كالذاتية المثالية ، التأصلية ... الخ ، ولكنّهم لم ينجحوا ودليل ذلك أنّنا مازلنا نخلط بين هذه المفاهيم على الرغم

[1] عبد السلام المسدي، المرجع نفسه، ص174.

من هذا التقييد ، هذا ما جعلنا نحاول إيجاد مصطلحات جديدة غير stylisstic لتدل على مفاهيم تخصص مصطلح stylistics لعلم الأسلوب فقط ، وتوجد غيره للأسلوبيات على سبيل المثال ، والخلاصة أنّه يستحيل النظر إلى الأسلوبية على أنّها علم واحد يمكن حده حداً واحدًا يرضي جميع الأطراف التي تعمل تحت هذا المصطلح[1]

أمّا فيما يخص الأسلوب فيمكن الإشارة إلى تعريفاته عند عدد من الباحثين فبعضهم يرى أنّ الأسلوب اختيار أو انتقاء ، وبناءاً عليه تقوم الدراسة الأسلوبية بتتبع مجموعة الاختيارات الخاصة بمنشئ معين ، وملاحظة أسلوبه الذي يمتاز به عن غيره من المنشئين ويرى بعضهم مثل ريفاتير أنّ الأسلوب قوة ضاغطة تسيطر على رغبة القارئ بواسطة أبرز بعض العناصر سلسلة الكلام ، وحمل القارئ على الانتباه إليها بحيث أنّ غفل عنها شده النص ، وإذا قام بتحليلها وجد لها دلالات تتميز بها ، خاصة بما يسمح بتقرير أنّ الكلام يعبر ، والأسلوب مفارقة أو انحراف أو انزياح على نموذج آخر من القول ، ينظر إليه على أنّه نمط معياري ، ومسوغ المقارنة بين النص المفارق والنص النمطي[2].

وإذا كنا نتحدث عن الأسلوب والأسلوبية فمن الجدير بذلك أنّ نفرّق بين علم الأسلوب والأسلوبية ، فمن حلل النص بناءاً تحليلياً لغوياً ، ليس أسلوبياّ يلحظ جماليّاته وهنا يتضح جلياً أنّ مصطلح الأسلوبية يختلف عن مصطلح علم الأسلوب ، لأنّ علم الأسلوب يقف عند تحليل النص بناءا على مستويات التحليل وصولا إلى علم بأساليبه بينما الأسلوبية هي التي تتجاوز النص المحلل وبأساليبه ، إلى نقد تلك الأساليب بناءاً على منهج من مناهج النقد ، ويمكن أن يقال الأسلوبية وعلم الأسلوب كما يقال النقد وعلم النقد ، ومنه لا تكون الأسلوبية رديفا لعلم الأسلوب في حال من الأحوال ، ويمكن الإشارة إلى العديد من الأدباء والنقاد وهذا في معالجتهم لبعض القضايا المهمة التي طرحها عدد من النقاد العرب حول الأسلوب ، وهذه الإشارات لا تعني أنّ هؤلاء النقاد قد بحثوا

[1] ينظر: يوسف أبو العدوس، المرجع السابق، ص 35.

[2] المرجع نفسه، ص 12.

عن كل قضايا الأسلوب والأسلوبية ، إنّما هي معالم واضحة لها دور ولو بشكل بسيط في تاريخ الدراسات الاسلوبية[1].

لقد أفاد عبد القاهر الجرجاني بما في النحو من امكانيات تركيبية ، ووصفها بشكل مباشر في محاولة خلق نظرية لغوية في فهم الأسلوب من حيث كان النحو خالقا للنسق التعبيري الذي يحقق المزايا والايجابيات بجانب الصحة والسلامة اللغوية ، ويكاد يكون المجاز المثال الأكبر في قيمة إنهاك النظام اللغوي والخروج عن المألوف الاصطلاحي ، ممّا جعل له دورًا بارزًا في الدلالة ومباحثها ودورًا بارزًا في خلق الصور الفنية من خلال مباحث الاستعارة والكناية والتشبيه.

ودراسة مباحث الاسلوب ومفهومه في الدراسة الحديثة تؤكد عملية التواصل بين القديم والجديد ، والحديث عن الأسلوبية الحديثة هو الوسيلة الصحيحة لعقد المقارنة بينهما وبين مورثنا البلاغي من خلال تحديد مفهوم الأصالة والمعاصرة بحيث لا يكون هناك تعصب للقديم أو انغلاق أمام الجديد[2].

وقد ربط ابن قتيبة بين الأسلوب وطرق أداء المعنى في نسق مختلف ، بحيث يكون لكل مقام مقال ، فطبيعة الموضوع وقدرة المتكلم واختلاف الموقف تؤثر في تعدد الأساليب ، وتأتي مباحث اللغويين باعتبارها الركيزة الأساسية للمباحث الأسلوبية الحديثة ، التي ولدت على يد دوسيسير ثم نمّاها بالي ، وتتابعت الدراسات مشككة أحيانا في إنجازات بالي أوموثقة لها ممّا هيأ اكتمال جوانب البحث الأسلوبي على يد رواده من أمثال سيبتزر و مازورو و الوتسو ، أو على يد المدارس اللغوية التي شاركت فيه من أمثال الشكلانيين الروس و المدارس الفرنسية و الألمانية ، وقد أدى كل ذلك إلى ظهور علم العلامات أو السميولوجيا كوسيلة فعّالة ، شرعية الاتجاهات الأسلوبية ممّا قدمه من جوانب تحليلية ساعدت في ربط الأدب باللغة من ناحية ، و ربط الأدب بالنقد من ناحية أخرى[3].

[1] المرجع السابق، ص 13، 14.

[2] ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة و الأسلوبية ، ص 11، 12.

[3] ينظر: عدنان بن ذريل، النص و الأسلوبية بين النظرية و التطبيق إتحاد كتاب العرب، (د ط)، سوريا ، 2000م، ص 12.

كما استطاع عبد السلام المسدي أن يقيم جسرًا بين الفكر الأسلوبي و الفكر العربي تتناوله "الأسلوبية و الأسلوب " و رغم صعوبة اللغة في هذا التناول ،كانت الإفادة منه بالغة في منهجية عرض المسائل الأسلوبية و في التعريف بأبرز مفكريها ، وقد ازداد هذا الجسر وضوحاً بذلك الجهد المكثّف لكثير من الدراسيين من خلال عرضها مناهج النقد الأدبي المعاصر ، لما فيها من مناهج أسلوبية تنظيرا وتطبيقا[1].

وقد ارتبط مصطلح الأسلوب في فترة طويلة بمصطلح البلاغة ، حيث ساعد على تصنيف القواعد المعيارية التي تحملها البلاغة إلى الفكر الأدبي والعالمي منذ عهد الحضارة الإغريقية وكتابات أرسطو على نحو خاص ، واكتسبت كلمة " الأسلوب" شهرة للتقسيم الثلاثي الذي استقر عليه البلاغيون في العصور الوسطى حيث ذهبوا إلى وجود ثلاثة ألوان من الأساليب هي الأسلوب البسيط ، والأسلوب المتوسط ، والأسلوب الأساسي ، وهي ألوان يمثلها عندهم نماذج كثيرة في إنتاج الشاعر الروماني الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد[2].

وقد وجدت كلمة الأسلوب مجالا واسعا في الدراسات القديمة ، خاصة في مباحث الإعجاز القرآني التي استدعت إلى فهم مدلول الكلمة في بحثهم المقارن بين أسلوب القرآن وغيره من أساليب العرب ، متخذين ذلك وسيلتهم لإثبات الإعجاز ، ولم يتوقف إدراك معنى الأسلوب في النقد القديم في المشرق العربي عند هذه المحاولات التي تعرضنا لها ، ففي وسط هذه المحاولات يظهر لنا الزمخشري بإدراك يتميز عمن تعرضنا لهم في هذا المجال ، حيث ربط الرجل بين معنى الأسلوب والخصائص الأسلوبية ، أو بين الأسلوب والطاقة التعبيرية الكامنة فيه ، ملاحظا وجود تنوعات لغوية لا تقوم على أسس فردية في الأسلوب[3].

[1] عدنان بن ذريل ، المرجع السابق ، ص 14.

[2] محمد عبد المنعم خفاجي و آخرون، الأسلوبية و البيان العربي ، الدار المصرية اللسانية للطباعة و النشر، ط 1، مصر ، 1998، ص 35.

[3] المرجع نفسه، (ص ن).

ويعالج الزمخشري أسلوب التمثيل باعتباره خاصية أسلوبية لها دور في إبراز المعنى ورفع الإشارة عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق ، والمتوهم معرض المتيقن والغائب كأنه شاهد منطلقا في ذلك من قوله تعالى (لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)[الأحزاب72] ومن الواضح أنّ الزمخشري في تحليله للنص القرآني يستند إلى مناهج البحث البلاغي من ناحية ، والتركيب من ناحية أخرى ، وأفاد من كل ذلك في كل مستوى من مستويات دراسته محاولا الوصول إلى أقصى درجة من التذوق الانطباعي أحيانا ، والرصد الموضوعي للخصائص الأسلوبية أحيانا أخرى ، رابطا بين التأثير الانفعالي لدى المتلقي والخصائص التعبيرية في النص الأدبي عامة والقرآني خاصة[1].

إنّ تعدد مسميات الأسلوبية وتعدد تعريفاتها راجع بالدرجة الأولى إلى الاختلاف حول تفسير النصوص الأدبية ، فضلا على أنّها علم جديد لم تترسخ أصوله ، ويمكن تلخيص نظرة الأسلوبية إلى النص في ثلاث عناصر [2]:

1) العنصر اللغوي الذي يعالج نصوصا قامت اللغة بوضع شفرتها.

2) العنصر التفعيلي ويتمخض عنه إدخال المقومات غير اللغوية في التحليل كالمؤلف والقارئ للموقف وهدف الرسالة.

3) العنصر الجمالي الأدبي ويكشف عن تأثير النص على القارئ وعن التفسير.

المطلب الرابع : نشأة الأسلوبية

إذا ما حاولنا وضع اليد على تحديد دقيق لتاريخ مولد علم الأسلوب أو الأسلوبية سنجد أنه يتمثل في تنبيه العالم الفرنسي جوستاف كويرتنج عام 1886 على أنّ علم الأسلوب الفرنسي مجال

[1] ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة و الأسلوبية ، ص 19، 20.

[2] يوسف أبو العدوس الأسلوبية بين الرؤية و التطبيق . ص 37، 38.

شبه مهجور تمامًا حتى ذلك الوقت ، وفي دعوته إلى أبحاث تحاول تتبع أصالة التعبيرات الأسلوبية ، بعيدًا عن المناهج التقليدية ،ومع كون كلمة الأسلوبية قد ظهرت في القرن 19 م ، فإنها لم تصل إلى معنى محدد إلاّ في أوائل القرن العشرين وكان التحديد مرتبطا بشكل وثيق بأبحاث علم اللغة[1]

لقد ارتبطت نشأة الأسلوبية من الناحية التاريخية ارتباطا واضحا بنشأة علوم اللغة الحديثة ، ذلك أنّ الأسلوبية بوصفها وضعا أكاديميا قد ولدت وقت ولادة اللسانيات الحديثة ، واستمرت تستعمل بعض تقنيتها ، وقد أدى هذا الاقتران التاريخي والإجرائي لبعض مؤرخي النقد إلى أن يقعوا في الخلط ، فصاروا يعدون أي تناول للأدب يُظهر اهتماما واضحا بمظاهر لغوية (الخيال ، البنية الصوتية ، النحو ...) من الدراسة الأسلوبية لكن الأمور لم تبق على مثل هذا الحال ، فسرعان ما انبرى الدارسون للتفرقة بين مجالي العلمين وتوجيهاتهما ، فقيل مثلا : "إنّ علم اللغة هو الذي يدرس ما يقال ، في حين أنّ الأسلوبية هي التي تدرس كيفية ما يقال " مستخدمة الوصف والتحليل في آن واحد ، وقيل أيضا أّن اللسانيات تقتصر على تأمين المادة التي يعمد إليها المتكلم أو الكاتب ليفصح بها عن فكرته ، أمّا علم الأسلوب فهو يرشد إلى اختيار ما يجب أخذه من هذه المادة للتوصل إلى نوع معين من التأثير في السامع أو القارئ ، شريطة احترام ما اتفق عليه العلماء من مدلولات لفظية وقواعد صرفية ونحوية وبيانية [2]

إنّ هذا كله لا يعني توصل الدراسين الأسلوبيين إلى فهم مشترك لدور الأسلوبية الرئيسي ، وإلى تحديد متفق عليه لطبيعة أدواتها ونوعية وسائلها الإجرائية ، فقد تقدم ما يثير إلمامًا إلى طبيعة الاختلاف الكبير في هذا المجال ، وهناك مجموعة من التعريفات المختلفة للأسلوب أدت إلى اختلاف النظر في دور الأسلوبية وأهم أدواتها :[3]

[1] يوسف أبو العدوس، المرجع السابق، ص،162.

[2] المرجع نفسه،ص163.

[3] ينظر: المرجع السابق، (ص ن).

1) يرى بعض الباحثين أنّ الأسلوب اختيار أو انتقاء ، وبناءاً عليه تقوم الدراسة الأسلوبية بتتبع مجموعة الاختيارات الخاصة بمنحى معين لملاحظة أسلوبه الذي يمتاز به عن غيره من الأساليب الأخرى.

2) يرى ريفاتير أنّ الأسلوب قوة ضاغطة تتسلط على حساسية القارئ بواسطة إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام ، وهكذا فالمهم في الدراسة الأسلوبية هو ملاحظة ما يتولد عن الرسالة أو النص من ردود فعل لدى القارئ.

3) هناك رؤية أخرى ترى أنّ الأسلوب مفارقة Departure وانحراف déviation عن نموذج آخر من القول يُنظر إليه على أنّه نمط معياري Norm .

4) ورأي رابع يرى أنّ الأسلوب تضمن Cnnition وهذا يعني أنّها تستمد قيمتها الأسلوبية من بيئة النص أو الموثق ، ويتخذ التحليل الأسلوبي عند أصحاب هذه النظرة شكل دراسة العلاقات ما بين الوحدات اللغوية وبيئتها وسياقها.

المطلب الخامس :علاقة علم الأسلوب والأسلوبية بعلم اللغة واللسانيات والبلاغة:

أولا: علاقة علم الأسلوب والأسلوبية بعلم اللغة:

نشأ علم الأسلوب الحديث أو الأسلوبية الحديثة مستندا إلى نشأة علم اللغة الحديث وتطوره ، ولم تكن الأسلوبية في أول الأمر سوى منهج من المناهج اللغوية المستخدمة في دراسة النصوص الأدبية ولا يزال الكثير من الباحثين ينظرون إلى الأسلوبية بأنّها منهجًا مستوحى من المناهج اللغوية ، لهذا يعدها بعض هؤلاء الباحثين فرعًا من فروع علم اللغة العام.[1]

علم الأسلوب إذن فرع من فروع علم اللغة لكنّه يفترق عنه افتراقا جوهريا لأن مادة الدرس فيها مختلفة أو لأن هدف الدرس مختلف أيضا ، فعلم اللغة يقصد اللغة العامة التي لا تميزها

[1] محمود عيان، الأسلوبية الحديثة،محاولة تعريف، مجلة الفصول، عدد 1981م ،مصر، ص124.

خصائص فردية ، أي أنّه يقصد اللغة ذات الشكل (العادي) وذات الأنماط العادية ممّا يستخدمه المجتمع منطوقا في التواصل في الحياة اليومية ، وهدف علم اللغة هو أن يصف اللغة ويبيّن كيف تعمل وهو بذلك يتحرك من الخاص إلى العام ومن الجزئي إلى الكلي دون أن يلقي النظر إلى الاختلافات النوعية بين الأفراد.[1]

ويعرف ريفاتير الأسلوبية على أساس أنّها منهج لغوي ، ويؤكد صلتها الوثيقة بالدراسة اللغوية فيربط بين منهجها ومناهج البحث اللغوي عموما ، ويقود هذا الربط بين الأسلوبية والدراسة اللغوية إلى الفرضية الأساسية للعلم نفسه ، وتقوم هذه الفرضية على أساس أنّ النص الأدبي نص لغوي لا يمكن كسر أغواره دون تحليل العلاقات اللغوية التي ينطوي عليها ، ذلك لأنّ هذا التحليل هو الذي يقودنا إلى تفهم الشحنة الدلالية والعاطفية الكامنة في النص والتي تؤثر في الملتقيين[2]

واللغة أداة اتصال أو توصيل للآخرين تعبر عمّا يدور في عقل الإنسان ، وتمثله في عملية توحد ضرورية بين العلامة اللغوية وما تشير إليه ، أو بين الدال والمدلول والنص هو أحد الأركان الأساسية للأسلوبية ، ومن ثم فإنّ صلة الأسلوبية باللغة صلة وثقة ، فالنظرية الأسلوبية تنطلق أساسًا في تحليلها للعمل الفني من بنية اللغة وتستمد معاييرها من النظرية العلمية لعلم اللغة الحديث وعليه ينبغي فهم الأسلوبية على أنّها نظرية فرعية من علم اللغة ، مهمتها انتقاء الظواهر اللغوية اللافتة التي تكمُن في بنية النص واختياراها ووضعها وتحليلها ومعرفة الوظيفة التي تؤديها داخل العمل الفني ، وكيف حقق المؤلف لها هذه الوظيفة باستعمال الظاهرة.[3]

[1] عبده الراجحي، علم اللغة والنقد الأدبي، علم الأسلوب، مجلة الفصول، عدد 2، 1981م، ص116.

[2] ينظر: محمود عيان، المرجع السابق،ص124،

[3] عثمان مصطفى، الدراسات الأسلوبية العلابية بين النظرية والتطبيق، وزارة الثقافة، ط1، عمان، 2007،ص27.

ثانيا : علاقة الأسلوبية باللسانيات:

لا خلاف بين الدراسيين في أنّ علاقة الأسلوبية باللسانيات هي علاقة نشأة ووجود حيث ارتبط ظهور الأسلوبية بنشأة الدراسات اللسانية وتطورها خصوصا على يد مؤسسها "دي سوسيير" ، وقد تباينت وجهات النظر في طبيعة هذه العلاقة حيث نرى في هذا الصدد اتجاهين :

. **الاتجاه الأول** : الأسلوبية فرع من اللسانيات.

يرى أصحاب هذا الاتجاه أنّ البحث الأسلوبي ينبغي أنّ يكون فرعا من علم اللغة "3 وهو رأي يعبر على انتهاء الأسلوبية إلى عباءة اللسانيات ، ويتأكد هذا الانتماء في كثير من المقاربات التي سعت إلى صياغة مفهوم الأسلوبية انطلاقا من اعتبارها فرعا من اللسانيات ، "فدولاس" يقرر أنّ الأسلوبية وصف للنص حسب طرائق مشتقات من اللسانيات ، وأمّا "ميشال أريغي " فيؤكد على الطبيعة اللسانية للأسلوبية بقوله : إنّ الأسلوبية تُعرف بأنها منهج لساني ، ويعزز هذا الرأي "رومان جاكسبون" بقوله : "أنّ الأسلوبية فن من أفنان شجرة اللسانيات" [1]

إنّ هذه المقاربات لمفهوم الأسلوبية تُجمع على أنّها مواصفة للخطاب الأدبي بحسب أدوات مشتقات من اللسانيات ، وفي ذلك إشارة لانتماء الأسلوبية إلى حقل المعرفة اللّسانية ، وأنّها فرع من فروع شجرة اللّسانيات.

وبناءا على ذلك يتقرر لدى أصحاب هذا الرأي أنّ أي مقاربة أسلوبية لا يمكن أن تؤتي ثمارها إلاّ إذا استندت إلى تكوين لساني دقيق.[2]

والمحلل الأسلوبي في نظر هذا الاتجاه يجب أن يتسلح بالمعرفة اللسانية حتى يتمكن من ولوج عالم النص في ثقة واقتدار.

. **الاتجاه الثاني** : استقلال الأسلوبية على اللسانيات

[1] ينظر: فتح الله سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 2008م، ص48.
[2] فتح الله أحمد سليمان، المرجع السابق، ص49.

يعلن أنصار هذا الاتجاه أنّ الأسلوبية ليست مجرد فرع من علم اللغة (اللسانيات) بل نظام مواز يفحص نفس الظاهرة من وجهة نظر خاصة ، فإذا كانت الأسلوبية قد استفادت من اللسانيات واستثمرت كثيرا من جهودها فإنّ ذلك لا يُعيبها ولا يفقدها استقلاليتها فالأسلوبية وجودها المستقل منهجا وغاية إذ نلاحظ بين الأسلوبية واللسانيات فروقا جوهرية حيث أنّ "علم الأسلوب" لا يحفل بالعناصر اللغوية في ذاتها إنّما بقوتها التعبيرية ، وبهذا المعنى فإنّ علم الأسلوب يمكن أن ينقسم إلى نفس مستويات علم اللغة ولو تقبلنا الرأي القائل بحصر مستويات التحليل اللغوي في ثلاث هي : الصوتي والمعجمي والنحوي ، الأصح بوسع التحليل الأسلوبي أن يتدرج على نفس النمط ، عندئذ نبدأ من علم الأسلوب الصوتي الذي يبحث في وظيفة المحاكاة الصوتية وغيرها من الظواهر من الوجهة التعبيرية ، كما يصبح لدينا علم الأسلوب المعجمي للبحث في الوسائل التعبيرية للكلمات في لغة معينة ، ثم يأتي علم أسلوب الجمل ليختبر القيم التعبيرية للتراكيب.[1]

ويلخص نور الدين السد في كتابه "الأسلوبية وتحليل الخطاب " في جزئه الأول الفروق بين اللسانيات والأسلوبية في الملاحظات الآتية :[2]

اللسانيات	الأسلوبية
01/ تعنى أساسا بالجملة	01/ تعنى بالإنتاج الكلي للكلام
02/تعنى بالتنظير للغة كشكل من أشكال الحدوث المفترضة	02/ تتجه إلى الحدث فعلا
03/ تعنى باللغة من حيث مدرك مجرد تمثله قوانينُها	03/ تعنى باللغة من حيث الأثر الذي تتركه في نفس المتلقي كأداء مباشر

[1] رابح بن خوية، مقدمة في الأسلوبية، مطبعة نير،ط1، سكيكدة، 2007، ص92.

[2] صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءته، ص159.

يتضح من الجدول أعلاه :

أنّ المشترك بين الطرفين هو اللغة ، غير أنّ التباين يتجسد في النتائج ، فاللسانيات تنطلق في عملية الوصف والتحليل من الجملة وبالتالي يكون التعامل مع النص على أنّه مجموعة من الجمل في حين تنطلق الأسلوبية من النص باعتباره وحدة كلية أو منتجًا كليًا وهذا يؤدي إلى نتائج متباينة ، تتجه الأسلوبية إلى اللغة من حيث قوتها التعبيرية لذلك تتجلى وظيفتها في البحث عن السمات البارزة في الخطاب الأدبي التي يمكنها أن تترك أثرًا في نفس المتلقي من خلال اللغة ، في حين أنّ اللسانيات تعنى باللغة من حيث عناصر في ذاتها تمثلها قوانينها .

تنطلق الأسلوبية في تعاملها كمحدث فعلا ، من خلال الخطاب اللغوي في صورته المنتجة ، في حين تتعامل اللسانيات مع اللغة كشكل من أشكال الحدوث المفترضة وهذا التباين في المنطلق يؤدي إلى تباين في الغاية.[1]

إنّ استقلال الأسلوبية الذي يرسخ فيما بعد لا يعني القطيعة التامة مع اللسانيات ، بل يعني بدرجة أولى اتصالا منهجيا واستقلالا غائبا حيث لا يمكن للدارس الأسلوبي أن يتجاهل المناهج اللّسانية وصفية كانت أم تاريخية ، كما لا يمكنه أن يغفل عمّا تقدمه البحوث اللسانية في جانبها النظري والتطبيقي ، لأنّه لابد أن تتقاطع مع جانب من جوانب دراسته النصية ، وبالمقابل يمكن أن تفيد اللسانيات من البحوث الأسلوبية خاصة في جانبها التطبيقي. [2]

وخلاصة القول في علاقة الأسلوبية باللسانيات أنّها قد جرت العادة بين الدارسين على اعتبار الأسلوبية فرعا من اللسانيات ولكن بما أنّها تعتمد على وجهة نظر خاصة فقد يكون من المنطلق اعتبارها علمًا مساو لعلم اللغة.[3]

[1] فتح الله سليمان ، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبقية، ص50.

[2] يوسف أبو العدوس، الأسلوبية بين الرؤية والتطبيق،ص48.

[3] شكري عياد، اتجاهات البحث الأسلوبي، أصدقاء الكتاب للنشر والتوزيع، ط3، القاهرة، 1989، ص96.

ثالثا : علاقة الأسلوبية بالبلاغة :

يرى عبد السلام المسدي أنّ علاقة الأسلوبية بالبلاغة هي علاقة تنافر وتباين حيث أنّه إذا أتيح للأسلوبية والألسنة أن تتواجدا فإن الأسلوبية والبلاغة كتصوريّن فكريّن تمثلان شخصيتين متنافرتين متصادمتين لا يستقيم لهما وجود في تفكير أصولي واحد.[1]

ومن أجل دعم هذا الرأي سنحاول أن نلخص ما أورده شكري عياد من فروق بين الأسلوبية والبلاغة والمتمثلة في ما يلي:[2]

1. إنّ البلاغة علم لساني قديم والأسلوبية علم لساني حديث ، ومن هنا يصبح الاختلاف اختلافا منهجيا فالعلوم اللسانية القديمة التي سارت البلاغة في هديها كانت تنظر إلى اللغة بوصفها منطوية على ثبات حقيقي بينما تنظر العلوم اللسانية الحديثة إلى اللغة بوصفها متغيرة ومتطورة ، وإذا كان ثمة ثبات معين تنطوي عليه اللغة ، فإن هذا الثبات ينظر إليه لا بوصفه حقيقة بل بوصفه ضرورة منهجية تلجأ إليها اللسانيات خاصة

2- إنّ علم البلاغة علم معياري بينما تعد الأسلوبية علما وصفيا ، فالبلاغة تنطوي على قوانين مطلقة تقوم على الاختيار بين إمكانيات عدة ، وهذه الإمكانيات إنّما هي تراكيب نحوية على العدول لقوانين معينة ، فالاختيار إذن خاضع للقوانين كذلك ، ولهذا تنصّب معيارية البلاغة على العدول عن التراكيب النحوية المناسبة ممّا يسبب هذا العدول خطأ بلاغيا.

3- يقرر علم البلاغة أنّ الكلام ينبغي أن يطابق مقتضى الحال ، في حين تقرر الأسلوبية أنّ نمط الكلام يتأثر بالموقف وهذان الاصطلاحان يسيران على الرغم من اختلافات معينة إلى الظروف العامة التي تحيط بالكلام ، وهذه الظروف التي تكتنف بالكلام هي التي تختلف في البلاغة عنها في الأسلوبية ، فالبلاغة بفعل إنشائها تحت هيمنة المنطق على التفكير كانت تنصب على الخطابة أكثر من انصبابها على الشعر ، ولهذا فإنّ الظروف المحيطة بالكلام إنّما تعني الحالة العقلية ، وإن كان

[1] ينظر: عبد السلام المسدي،محاولات في الأسلوبية الهيكلية، ص48.

[2] ينظر: شكري عياد، مدخل إلى علم الأسلوب،ص.44 ص49.

الاهتمام بالحالة الوجدانية أمرًا مفروضا من معالجة المادة الأدبية ، أمّا الأسلوبية التي نشأت في الوقت الذي انتعش فيه علم النفس فقد عُنيت بالجانب الوجداني أكثر من عِنايتها بالجانب العقلي ، ولهذا أصبح الموقف أشد تعقيدًا من مقولة مقتضى الحال ، فمقولة الموقف في الأسلوبية تنطوي على عوامل خارجية تعود إلى المنشئ والملتقي ويكون بعضها مشتركا كالجنس والبيئة والمركز الاجتماعي والمنشأ ، وتنطوي كذلك على عوامل فردية تعود إلى المنشئ كالمزاج والحدة والهدوء والدعابة والرزانة.

4ـ إنّ أفق الدراسة الأسلوبية أوسع من أفق الدراسة البلاغية ، فالأسلوبية تدرس الظواهر اللغوية جميعا بداء من الصوت وصولا إلى المعني مرورًا بالتراكيب.[1]

المطلب السادس :مستويات التحليل

يمر الدارس الأسلوبي في تحليله لنص ما سواء كان شعرًا و نثرا عبر مستويات تجمع بينها ميزتي التضافر والتلاحم ، وهذه المستويات ثلاثة ، أولها تحليل الأصوات ويتم فيه تناول ما في النص من مظاهر إتقان الصوت ومصادر الإيقاع فيه ، وثانيها تحليل التركيب ، ويتم فيه الكشف عن التراكيب التي تغلب عليه ، إن كان تركيب فعلي أو تركيب اسمي ، وثالثها تحليل الألفاظ ، ويتم فيه الكشف عن دلالة الألفاظ والكلمات وإيحاءاتها وهذا تفصيلهما :

أولا : تحليل الأصوات :

إنّ التحليل الصوتي في علم الأسلوب يقتضي أولا معرفة الخصائص الصوتية في اللغة العادية ، وبعد ذلك يتم التوجه إلى رصد الظواهر الخارجة عن النمط والبحث في دلالتها فيما يفيد دراسة الأسلوب ، والأغلب أننا لا نحلل النص الأدبي تحليلا صوتيا بتتبع كل التفصيلات التي ينظمها علم الأصوات ، ولا نهتم كثيرا بالأصوات الصامتة والصائتة ، بل نهتم بالجوانب المهمة الأخرى التي يرتكز عليها التحليل الصوتي للأسلوب وهي تنحصر فيما يلي :

[1] ينظر: المرجع السابق، ص44،ص49.

الوقف : وهو ظاهر صوتية مهمة جدًا لأنها ترتبط بالمعنى ارتباطا مباشرا ، ومن المعروف أنّ العرب القدامى اهتموا بها اهتماما واضحا في قراءة النص القرآني ، حتى أنّهم أفردوا لها كتبا متخصصة درسوا فيها أنواع الوقف من واجب وجائز وممتنع وحسن وقبيح ، وغير ذلك ، ورسم المصحف يشمل كما نعلم رموزا تحدد أنواع الوقف للقارئ.[1]

غير أنّ القدماء لم يلتفتوا إلى هذه الظاهرة عند تناولهم للشعر ولم يرد عندهم ما يفيد انتفاعهم في شروحهم الكثيرة التي وصلت إلينا.

النبر والتنغيم : دراسة الوزن تقودنا إلى ضرورة دراسة النبر وهي دراسة لم تحظ حتى الآن باهتمام الدرس العربي رغم أهميتها في اختلاف المعنى وتنويعه ، وهي ذات أهمية خاصة في دراسة المقطع في اللغة وعلى الأخص فيما يتصل بالشعر ، ولا نحسب أن القدماء كانوا غافلين عن الظاهرة لأن حديثهم عن التفعيلة وما تتكون منه من أسباب وأوتاد وفواصل وما يطرأ عليها من زخرفات وعلل لا يبتعد كثيرا عن دراسة المقطع وقد كان جديرا بالمتابعة والتطوير ، لكنّنا وقفنا عند الذي رصدوه وتأتي بعد ذلك دراسة التنغيم (القافية) وكل هؤلاء كما هو ظاهر ليس صورة كاملة لما يقدمه علم الأصوات العام لكنّه يركز على الظواهر التي يمكن أن تفيد عند رصدها وتصنيفها في فهم أسلوب معين وغني عن البيان أنّ ذلك ليس مقصورا على الشعر وحده لأن الأسلوب النثري ينتظم أنماطا كثيرة من الوقف والنبر والمقاطع والتنغيم .[2]

ثانيا : التحليل التركيبي :

لقد اهتم علماء العربية بدراسة الجملة فقدموا أنماطها وأركانها ودلالتها الحقيقية والمجازية وطبقوا ذلك على كثير من النصوص خاصة القران الكريم .

[1] ينظر: عبده الراجحي، علم اللغة والنقد الأدبي،علم الأسلوب، ص119.

[2] المرجع نفسه، ص121.

وعلم الأسلوب يرى في دراسة التركيب عنصرا هاما في البحث عن الخصائص المميزة لمؤلف معين ، وهو في الأغلب يتوجه إلى البحث عن العناصر الآتية :[1]

1) دراسة طول الجملة وقصرها.

2) دراسة أركان التركيب خاصة المبتدأ والخبر أو الفعل والفاعل أو العلاقة بين الصفة والموصوف والإضافة والصلة وغيرها.

3) دراسة الروابط كالبحث عن استعمال المؤلف للواو أو الفاء أو ثم أو إنّ أو إذن أو ما ، ودلالة كل ذلك على خصائص الأسلوب.

4) دراسة التركيب من أهم عناصر البحث في الأسلوب لأن تقديم عنصر أو تأخيره يؤدي في الأغلب إلى التغيير في الدلالة ، ولأن الأديب لا يلتزم دائما بقواعد التركيب العامة التي يرصدها اللغويون في اللغة العادية.

5) دراسة الفصائل النحوية كالتذكير والتأنيث والتعريف والتنكير والعدد.

6) دراسة الصيغ الفعلية وتركيباتها والزمن وتتابعه.

7) دراسة البناء للمعلوم والبناء للمجهول.

8) يميل علماء الأسلوب إلى استخدام طريقة النحو التحويلي في البحث عن البنية لتركيبات مؤلف معين لأنّها تساعد أولا على فهم كثير من المسائل الغامضة في النص ، وتساعد ثانيا على معرفة ما أضافه هذا المؤلف إلى أساليب اللغة في التركيب ، فدراسة التركيب عند الأسلوبيين لا تقتصر على بحث الجملة أو جزء منها إنّما على بحث الفقرة والموضع ثم العمل الفني كاملا.

[1] المرجع نفسه،ص122.

ثالثا: تحليل الألفاظ :

هو من أهم عناصر التحليل الأسلوبي لما له من تأثير جوهري على المعاني ، ونحن نوضحها كما ما يلي :[1]

1. دراسة الكلمة وتراكيبها خاصة في البحث عن المورفيمات التي يستخدمها المؤلف.

2- الصيغ الاشتقاقية وتأثيرها على الفكرة.

3- المصاحبات اللغوية إذ أنّ هناك ألفاظ معينة ولا بد من رصد هذه المصاحبات في موضوع معين عند مؤلف معين.

4- دراسة المجاز على أن يكون مجازا أصليا بمعنى ألاّ نجري وراء كل كما نلحظ من أركان التشبيه أو الاستعارة لأن الكثير منها يتحول مع الزمن ومع الاستعمال إلى مجاز "ميت" أو مجاز "نائم".

ونحن حين نتحدث الآن عن ميدان دراسة الأسلوبية وأدواتها وأهدافها وعن إلقاء الضوء على الملامح المميزة لمؤلف معين ، لا نتحدث حديثا مجازيا لأنّ هذه الألفاظ فقدت طبيعتها الاستعارية فقدانا كاملا أو غير كامل وفقا لما يشير إليه السياق.[2]

المبحث الثاني :المقاييس في الدراسة القرآنية

عُرف العرب بفصاحة اللّسان ونضج البيان ، لذلك نزل القرآن الكريم على ما كان العرب يتفاخرون به ، فكان الأبلغ والأفصح والأبين من كلامهم ، وقد عجزت ألسنتهن على الإتيان بمثله ،وهذا لا يعني أنّهم لم يتساءلوا عن الدلالة والمغزى من النص القرآني ، بل كانوا يتساءلون عن الألفاظ التي تتعلق بجانب العبادات والمعاملات ولم تظهر أي دراسة فعلية من أسلوب النص القرآني إلاّ في أواخر حكم الخلفاء الراشدين ، في خلافة علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، وذلك لما وصل إلى أسماع الناس مقولتان وهما : التحكيم والمحاجة بالكتاب ،لذلك يمكن اعتبار أنّ النص القرآني نظام يمنحه خصوصية في أسلوبه تميزه عن الأساليب الأخرى ، ويحفظه من الدخيل والاختلافات واللحن

[1] ينظر: المرجع السابق، ص123، ص124.

[2] المرجع السابق، ص124.

ووجه الإعجاز فيه أنّ النظام اللغوي والدلالي للقران الكريم يبنى على المشابهة وتعلق بعضه ببعض في المستويات كافة الدلالية والتركيبية والصوتية والبلاغية.[1]

مطلب الأول: المستوي الصوتي :

إنّ البناء الصوتي في النص القرآني يخفي إيقاعات موسيقية رائعة ، ذلك من خلال تناسقات صوتيه تتكرر وتتوازى عبر التوزيع المنسجم لآيات السورة وهذا التناسق هو الذي يسهم في كشف أغوار التشكيل الصوتي وإبراز الطاقة الدلالية المختلفة ، ولا يخفى أنّ مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي ، وأنّ هذا الانفعال بطبيعته إنّما هو سبب في الصوت ، كما يخرجه فيه مدًا أو غُنة أو لينًا أو شِدة وممّا يهيئ من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها ، ثم يجعل الصوت إلى الإيجاز والإطناب والبسط بقدر ما كسبه هو من الحدود والارتفاع والاهتزاز وبُعد المدى ونحوه

ومن أجل الكشف عن الجوانب الجمالية الموجودة في القران الكريم تقوم الدراسة الصوتية بتحديد خصائص الصوت من جهة ، وكذا التوازُنات الصوتية من جهة أخرى ، فالتوازنات تولّد النسق الإيقاعي يطرد بين مكونات النص التي بها تبرز روعتها وصياغتها في اضطراب النفس فيها.[2]

ونجد الرُماني من خلال دراسته أنّه أبرز بوضوح التوازنات الصوتية في النص القرآني وذلك خلال القرن الرابع الهجري ، فهو لا يجد حرجا في عد التلاؤم الصوتي من مؤكدات الإعجاز القرآني ، كما يرى الخفاجي بأنّ القصاصة قائمة على الصوت خاصة وهو القائل بالصرفة في الإعجاز لذلك عد كتابه رائدًا في الدراسة البلاغية في الصوت واللفظ وإنّ أول من أشار إلى المكون الصوتي هو "أبو عبيدة" وذلك في كتابه "مجاز القرآن" الذي أدرج فيه صورا من المجازات التي تتبعها في النص القرآني في إطار الفعالية التوازنية ، كما أنّ الُرماني قد تكلم عن الفواصل بدل السجع ، وأنّ الجاحظ قام بالتفريق بين السجع والفاصلة من خلال معيار المعنى ، فأولهما متبوع والثاني تابع ، أي أنّ الفاصلة تابعة للمعنى والمعنى تابع للسجع ، ويرى كذلك الرماني أنّ فواصل القرآن كلاهما بلاغة وحكمة لأنّه

[1] ينظر: جمال الحضري، المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2010، ص9،ص10.

[2] مصطفى صادق الرافعي، الإعجاز في القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، ط9، 1973، ص212.

السبيل الذي يُفهم به المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة وقد جعل الجناس صورة توازنية هامة في الدرس البلاغي لأنه من إجراءات الأسلوب البليغ الذي ينتهي بإثبات تميّز الأسلوب القرآني.[1]

المطلب الثاني : المستوى اللفظي :

يعتبر اللفظ من أبرز انشغالات الدراسات التراثية والعربية يتماشى مع النظر إلى العربية باعتبار وضعها الذي أعطاها تبجيلا وجعلها جداول اختيارية نقية سواء على مستوى الأصوات أو البنيات أو المعاجم أو النص القرآني ، وهذا ما نجده عند الجاحظ الذي استوعب اللفظ وانزله في أطروحاته الغزيرة ولا جرم أن نجد منظومة متشعبة المقاييس تتمركز حول اللفظ سواء باعتبار مادته الصوتية أو هيئته التأليفية أو وظيفته التركيبية أو دلالته المعجمية.[2]

أمّا من منظور علاقة الدال بالمدلول أو علاقة اللفظ بالمعني فقد اشترط الجاحظ بعض المقاييس في مفهوم المقدار وهذا في قوله :"يحتاج من اللفظ إلى مقدار ومقياس" والمقدار يحتاج إلى التأويل لتحديد الدال بالمدلول من خلاله ، على عكس المقياس المضاد له ،وهو مقياس التسابق ، فلا يستحق الكلام اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه ، فلا تكون لفظة إلاّ سمعك أسبق من معناها إلى قلبك كما نجد أنّ مقياس الملائمة هو من يحكم هذه الثنائية ، فما يكون للدال يكون للمدلول أي إذا كان الدال حسنا وشريفا يكون المدلول نفسه ، وإذا كان الدال سخيفا يكون المدلول مثله أي المدلول يتبع الدال أو العكس ، والألفاظ على أقدار المعاني ، وتنقسم المقاييس إلى مقامين مقام خارجي ومقام تداولي.[3]

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص214،ص215.

[2] جمال الحضري، المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية، ص24.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص27،ص101.

فعندما يغلب المقام الخارجي يختبر اللفظ إلى الوضوح والمباشرة ولعلّ المفارقة الإعجازية التي أدركها الجاحظ وغيره في النص القرآني "الإفهامية" فتتلاقى الغرابة مع الإفهام والبلاغة مع الإبانة.[1]

المطلب الثالث : المستوى التركيبي (التأليفي)

أدرك الجاحظ بنية النص من خلال تتبعه لخصوصية النظم القرآني غير أنّ تحديد مدلول المصطلح يتسرب بين التحليلات الجزئية التي تتناثر في مؤلفاته التي تعطي شرعية اعتبار المصطلح عنده مرادفا للتأليف ، ولعلّ النظم هنا معيار من حيث البنية العامة المخصوصة التي تجعل القرآن الكريم حِسا متميزا من الكلام ، فهو يميز بين نظم القرآن وتأليفه ونظم سائر الكلام .

أمّا الإعجاز عند الرُماني فمناطه التأليف لأنه الآلية التي تفتح على التعدد ولا نهائية في التصرف التركيبي ولأنها آلية طبيعية في اللغة والكلام.[2]

يرى الخطابي أنّ الكلام يقوم على ثلاثة أسس : اللفظ الحامل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم ، وهذا التحديد باعثه موقفان مبدئيان ، الأول صرف الإعجاز إلى لغة النص والنظم به ،أمّا الباعث فهو حسه التجريبي الذي يرفض المعرفة السابقة للكشف عن الإعجاز.[3]

المطلب الرابع: المستوى الدلالي:

يشكل الجانب الدلالي في الدراسة القرآنية أصعب مواضيعها وأشدها تشابها مع الخلفية العلمية والعقائدية للدارسين ، فقد كانت هناك معارك شديدة حول إشكالية الحقيقية والمجاز والدلالة الحرفية والدلالية الضمنية ، وهذا أدى إلى ظهور تلك المنطلقات المذهبية الكلامية لا أن تكون آراء أدبية بحتة ، ما قوبلت في الدراسة الأدبية العامة ذلك أنّ الجهود الدراسية التي أظهرت مقاييس نصف الأسلوب وتحدده خاصة وهي تباشر النص القرآني وتقف على أرض الإبداع اللغوي رده الإعجاز القرآني إلى وسائله وإجراءاته [4]

[1] مصطفى صادق الرافعي، الإعجاز في القرآن والبلاغة النبوية، ص28.
[2] ينظر:جمال الحضري، المرجع السابق، ص103.
[3] المرجع السابق، ص107.
[4] ينظر: المرجع نفسه، ص157،ص159.

وفي المستوى الدلالي رسّخ الجاحظ مقاييس الإبانة من أجل البحث عن نجاعة الخطاب وفائدته المعرفية ، أمّا الرماني فيجد هذا المقياس حاكما على الدلالة ، فالدلالة القرآنية عنده يحكمها التفاعل النصي بين محكمة متشابهة ، ونجد المبرد يشترط الإصابة في المعنى وصدق العبارة هو مقياس للوجود ، وقد مثله ابن جني الذي أبدع مقياس في التوسع اللغوي من خلال مفاهيم الشجاعة والاتساع والعدول ، لكنها محكومة بشرط الإصابة بوضعية الإبانة التي تجعل المجاز يَعلق بالحقيقة أو أنّه هو الحقيقة السابقة[1]

تتحكم ثنائية الحقيقة والمجاز بعناق الدلالة القرآنية خاصة أن منطلق الدراسات القرآنية كان إثبات انسجام النص القرآني ، فالبحث المجازي يأخذ البدايات الخاصة به منحنى تبريريا يجعل من استعمال العرب للمجاز متكئا لتثبيت جدوى وروده وترسيخه سلوكا لغويا جاريا على السمة والعادة.[2]

المطلب الخامس : المستوى البلاغي :

ويعد من أهم المستويات في الدراسات القرآنية ، ذلك في احتواء لأنواع البلاغة التي تصّب لها العلماء أسماءها المعروفة كالاستعارة والمجاز وغيرها فضلا عن أنواع البديع الكثيرة فإنّ ذلك يُخرج الكلام مخرج التأليف وبناء القول عن هذه الفنون نفسها ، وقد أُلفت فيها الكتب وتستعمل لذكر بعض ما قدمه العلماء من مؤلفات ونذكر منهم أبو عبيدة وكتابه "مجاز القرآن" وأبي الإصبح المصري وكتابه "بديع القرآن" وعبد القاهر الجرجاني في "دلائل الإعجاز" فنجد أنّ كل من أحصاه العلم من أنواع البلاغة في القرآن الكريم إنمّا هو جملة ما في طبيعة هذه البلاغة ممّا يمكن أن يقلب عليه الكلام في وجوه السياستين البيانية والمنطقية ، حيث يستحيل أن هناك في الكلام العربي نوعا من ذلك أي نوع من قلب الكلام في وجوه هذين السياستين ، إلاّ أن يكون من باب الصنعة والتكلف الذي يتنوع الأدباء على صنعه ويذهبون فيه إلى المذاهب الكثيرة من التنظير والإعداد والتنقيح ونحوها ، فالعلماء يقولون أنّ كل ذلك فنون من البلاغة وقع بها الإعجاز ، لأنهم اصطلحوا على هذه

[1] ينظر: حمادي محمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره، منشورات الجامعة التونسية،(دط)، 1981، ص171.

[2] مصطفى صادق الرافعي، المرجع السابق، ص156.

التسمية التي حدثت بعد العرب ولو قالوا أن القرآن معجزة في العربية لأن الفطرة والعقل لا يبلغان مبلغة في سياستي البيان والمنطق بهذه اللغة لكان أصوب في الحقيقة وأبلغ في الحقيقة والصواب وأمكن في المعنى والإعجاز.[1]

[1] ينظر، المرجع السابق، ص256.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: مستويات التحليل الأسلوبي و دلالاتها

المبحث الأول: التعريف بسورة النحل و أسباب نزولها

1: التعريف بسورة النحل

2: أسباب نزولها

المبحث الثاني: المستوى الصوتي

1: البناء الصوتي للكلمات

2: الإيقاع في مستوى الصوت

3: الإنسجام الموسيقي

المبحث الثالث: المستوى الدلالي

1: إيحاءات الألفاظ

المبحث الرابع: المستوى التركيبي

1: أسلوب الشرط

2: الحال

3: التقديم و الأخير

المبحث الخامس: المستوى البلاغي

1: الإستعارة

2: التشبيه

3: المجاز

المبحث الأول: التعريف بسورة النحل و أسباب نزولها.

إنّ خير العلوم وأشرفها العلم بكتاب الله العزيز الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وإنّ خير اللغات اللغة العربية التي جعلها الله لغة كتابه المبين ، والقرآن الكريم كتاب معجز في بنائه اللغوي وتشكيلاته ، إذ نزل على العرب متحديا إيّاهم واستمر هذا التحدي حتى عصرنا الحاضر وحتى نهاية الكون ، من هنا كان من الطبيعي أن يحاول القارئ تلمس التشكيلات اللغوية في القرآن الكريم ، وأن يوظف أيضا ما يمكن توظيفه من آليات حديثة في تلمس هذا الإعجاز.

1: التعريف بسورة النحل

سميت هذه السورة بسورة النحل ، وهو اسمها المشهور في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة ، ووجه تسميتها بذلك أنّ لفظة النحل لم تذكر في سورة أخرى في قوله تعالى

(وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ)[النحـــل 68] ، ووجه آخر بسبب ما عدّد الله فيها من نعمه على عباده[1] ،وهي مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر بن عبد الله ، وروي عن ابن عباس وأبي الزبير أنّها نزلت بمكة سوى ثلاث آيات من آخرها فإنهن نزلن بين مكة والمدينة في منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أُحد وهي قوله تعـــالى (وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) [النحل 95] إلى قوله (تَعْلَمُونَ) [النحل 95] وقال قتادة هي مكية إلاّ خمس آيات هي قول تعـالى (وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟)[النحـل41] وقولـه (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟) [النحـل 110] وقولـه(وَإِنْ عَاقَبْتُمْ) [النحـل 126] إلى آخـر

[1] ينظر:المؤيد بن الألباري، في مقاصد القرآن، ج7،المكتبة العصرية، (د ط)، بيروت، 1416هـ/ 1996م، ص131.

السورة وزاد مقاتل قوله تعالى (مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ) [النحل106] والآية (وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ)النحل[النحل112] وحكى الأصم عن بعضهم أنّ كلها مدنية[1].

2: أسباب نزولها[2]

اشتملت السورة على آثار متنوعة تدل على تفرد الله تعالى بالألوهية ، وتدل على فساد دين الشرك وإظهار بشاعته.

بالإضافة إلى أدلة تثبت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن الكريم عليه وأنّ شريعة الإسلام قائمة على أصول ملّة إبراهيم عليه السلام ، وإثبات البعث والجزاء فابتدأت بإنذار اقتراب حلول ما أنذر به المشركين من عذاب الله الذي يستهزئون به وإلى وانتقلت السورة إلى الاستدلال على إبطال عقيدة الشرك ، فابتدأت بالتذكير بخلق السموات والأرض وما في السماء من شمس وقمر ونجوم وما في الأرض من إنسان وحيوان ونبات وبحار وجبال ، وتعارض الليل والنهار.

كما أنّها تحمل التحذير من الارتداد عن الإسلام ، والتحذير من الوقوع في حبائل الشيطان والإنذار بعواقب كفران النعمة.

ومن الأثر العمل بأصول الشريعة من عدل وإحسان ومساواة ووفاء بالعهد وإبطال الفحشاء والمنكر والبغي ونقص العهود ، وما على ذلك من الجزاء بالخير في الدنيا والآخرة.

كما اشتملت على العبر وحسن المناظر ، ومعرفة الأوقات وعلامات السير في البّر والبحر وضرب الأمثال ومقابلة الأعمال بأضدادها.

وختمت السورة الكريمة بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والصبر والعفو عما يلقاه من الأذى في سبيل تبليغ دعوة الله قال تعالى (وَٱصۡبِرۡ وَمَا

[1] عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير،ج1، الدار التنوسية للنشر،(د ط)، تونس، 1984م، ص 95.
[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 95 ص 97.

صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ) [النحل127] وقال أيضا (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) [النحل128].

المبحث الثاني :المستوى الصوتي

الصوت ظاهرة طبيعية يدرك الإنسان أثرها قبل أن يدرك منبعها وقد أثبت علماء الصوت بتجارب لا يتطرق إليها الشك أنّ كل صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتز على ، غير أنّ تلك الهزات قد لا تدرك بالعين في بعض الحالات ،كما أثبتوا أنّ هزات مصدر الصوت تنتقل من وسط غازي أو صلب أو سائل حتى يصل إلى أذن السامع.

1 البناء الصوتي للكلمات :

في القرآن الكريم نفي واضح عن صلته بالشعر وقد ورد هذا في قوله تعالى (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ) [الحاقة 41] وقوله أيضا(وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ) [يس 69] ، غير أنّ هذا لا ينفي عن النص القرآني الصفة الإيقاعية والانسجام الموسيقى بين مقاطع الكلمات، فالوزن في العربية للشعر و التوازن في الإيقاع للنثر ، والذي في القرآن إيقاع متوازن لا موزون [1]

وقد تهيأ لنا دراسة الآيات في السورة وفقا لمقاطعها بعض الفائدة التي تكشف عن طبيعة إيقاع السورة ،أمّا المقاطع الموجودة في اللغة العربية هي في الحقيقة ثلاثة فقط (س ع) و(س ع س) و(س ع س س) ويمكن عن طريق إطالة العلة أن تصبح ستة إذا رمزنا للعلة الطويلة برمزين هكذا : (س ع ع) و (س ع ع س) و (س ع ع س س)[2] ، والمقاطع الثلاث (س ع ع) و (س ع) و(س ع س) هي المقاطع الشائعة في اللغة العربية ،وهي التي تكون الغالبة في الكلام العربي والمقاطع الصوتية نوعان متحرك وساكن ، والمقطع المتحرك هو الذي ينتهي بصوت لين أو قصير أو

[1] حسان تمام ،البيان في روائع القرآن، عالم الكتب ،ط1،القاهرة ، 1993،ص269

[2] عمر أحمد مختار ،دراسة الصوت اللغوي ،عالم الكتب ،ط1،القاهرة ،ص256.

طويل ،أمّا المقطع الساكن فهو الذي ينتهي بصوت ساكن[1]، ولقد نظرنا في الكلمات التي تشكل فواصل الآيات فوجدنا أكثرها يبدأ بمقطع متوسط مغلق يتلوه مقطع قصير مفتوح ،وتنتهي بمقطع طويل مغلق.

وقد اصطلحوا على وصف المقطع بأنّه قصير إذا لم يزد عن صوتين ، وبأنّه متوسط إذا تكوّن من ثلاثة أصوات أو من صوتين أحدهما طويل ،وبأنّه طويل إذا تكوّن من أربعة أصوات أو من ثلاثة أصوات أحدهما طويل [2]

ومن الفواصل التي يظهر فيها التوزيع السابق ذكره ، قوله تعالى(يُشۡرِكُونَ) [النحل 01] فهي مكوّنة من ثلاثة : يش :(س ع س) سط مغلق ، ر: (س ع) وهو مقطع قصير مفتوح ، كون : (س ع ع س) وهو مقطع طويل مغلق ، ومثلها (تَأۡكُلُونَ) [النحل 05] ، (تَسۡرَحُونَ) [النحل 06] وكذلك (يَعۡقِلُونَ) [النحل 12]

أمّا الآيات فقد اخترنا منها أربعة ،وهي الأولى والثانية والأخيرة والتي قبلها وقسمناها إلى مقاطعها.

والآن سنبدأ بالآية الأولى ، يقول تعالى (أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ) [النحل 01]

[1] -ينظر:إبراهيم أنيس،الأصوات اللغوية، مكتبة أنجلو المصرية،ط5،القاهرة،1975،ص159.

[2] ينظر: المرجع نفسه،ص173

والتي يمكن أن تقرأ تبعا لمقاطعها على النحو الآتي :

أ. تى : (س ع . س ع ع)	و. ت : (س ع . س ع)
أم. رل : (س ع س . س ع س)	عا. لا : (س ع ع . س ع ع)
لا : (س ع ع .س ع)	عم. ما : (س ع س . س ع ع)
ف. لا : (س ع . س ع ع)	يُش. ر: (س ع س . س ع)
تس. تع (س ع س . س ع س)	كون : (س ع ع س)
ج. لوه : (س ع . س ع ع س)	ن. هـ : (س ع . س ع)
سُب. حا : (س ع س . س ع ع)	

وعند إحصاء المقاطع جميعها تبين لنا ما يلي :

- المقاطع القصيرة المفتوحة : (9)
- المقاطع المتوسطة المفتوحة : (7)
- المقاطع المتوسطة المغلقة : (7)
- المقاطع الطويلة المغلقة : (2)

نجد في هذه الآية قد تساوت المقاطع المتوسطة والمغلقة ، وكانت المتوسطة بنوعيها هي الغالبة.

ويمكن أن تقرأ الآية الثانية (يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ) [النحل 2]

وفقا لمقاطعها على النحو الآتي :

ي. نز: (س ع . س ع س)	با. د : (س ع ع . س ع)
ز. ل ل : (س ع . س ع س)	هـ. أن : (س ع ع . س ع س)
م. لا : (س ع . س ع ع)	أن. ذ : (س ع س . س ع)
ئ. ك : (س ع . س ع)	رو.أن : (س ع ع . س ع س)
ة. بر : (س ع . س ع س)	ن. هـ : (س ع . س ع)
رو. ح : (س ع ع . س ع)	لا . إ : (س ع ع . س ع)
من. أم : (س ع س . س ع س)	لا. هـ : (س ع ع . س ع)
ر. هـ : (س ع . س ع ع)	إل. لا : (س ع س . س ع ع)
ع . لا : (س ع . س ع ع)	أ. ن : (س ع . س ع)
من. ي : (س ع س . س ع)	فت. ت : (س ع س . س ع)
شا. ء : (س ع ع . س ع)	قون : (س ع ع س)
من. ع : (س ع س . س ع)	

عند إحصاءنا للمقاطع تظهر كما يلي :

- المقاطع القصيرة المفتوحة (20)
- المقاطع المتوسطة المفتوحة (11)
- المقاطع المتوسطة المغلقة (10)
- المقاطع الطويلة المغلقة (1)

في هذه الآية يتقارب عدد المقاطع المتوسطة المفتوحة مع عدد المقاطع المتوسطة المغلقة ، ويتقارب عدد المقاطع القصيرة مع المقاطع المتوسطة على إطلاقها ، وقد شغل المقطع القصير هذه المساحة بحكم وضوحه وبساطة تكوينه بالإضافة إلى حركته الإيقاعية البارزة والمثيرة للانتباه لبنائه على صورة واحدة (صامت + صائت قصير).

أمّا الآية السابعة والعشرون بعد المائة ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ النحل[النحل127]

فهي على النحو التالي :

وص. بر : (س ع س . س ع س)	عا. لي : (س ع . س ع س)
و. ما : (س ع س . س ع س)	هم. و : (س ع س . س ع)
صب : (س ع س . س ع)	لا. ت : (س ع ع . س ع)
ك. ال : (س ع . س ع س)	ك. في : (س ع . س ع ع)
لا. بل : (س ع ع . س ع س)	ضي.قم : (س ع س. س ع س)
لا. هـ : (س ع ع . س ع)	مم . ما : (س ع س. س ع ع)

و. لا : (س ع . س ع ع)	يم. ك : (س ع س . س ع)
تح. زن : (س ع س . س ع س)	رون : (س ع ع س)

بلغت مقاطع هذه الآية كما يلي:

- المقاطع القصيرة المفتوحة (9)
- المقاطع المتوسطة المفتوحة (7)
- المقاطع المتوسطة المغلقة (13)
- المقطع الطويل(1)

وقد تقاربت أعداد المقاطع القصيرة المفتوحة والمتوسطة المفتوحة ، ولم تتسع الهوة بين المقاطع المفتوحة بنوعيها والمقاطع المغلقة بنوعيها.

أمّا الآية الأخيرة (إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ)[النحل 128]

فهي كما يلي:

إن. نل : (س ع س . س ع س)	قو. ول : (س ع س . س ع س)
لا. ه : (س ع ع . س ع)	ل. ذي : (س ع . س ع ع)
م. عل : (س ع . س ع س)	ن. هم : (س ع . س ع س)
ل. ذي : (س ع . س ع ع)	مح. س : (س ع س . س ع)
نت. ت : (س ع س . س ع)	نو. ن : (س ع ع س)

هنا في الآية تساوت المقاطع القصيرة والمفتوحة والمقاطع المتوسطة المغلقة ، ولو جعلنا المعيار الانفتاح والانغلاق على إطلاقه لحصل التقارب حيث عدد المقاطع المفتوحة من النوعين (10) وعدد المغلقة من النوعين (8)

وثمة نتائج عامة تتعلق ببعض خصائص البناء الصوتي لكلمات الآيات وهي :

- ✓ كان لكل آية نظام مقطعي خاص ، ولم يكن هذا النظام مطردا في الآيات الأخرى مع احتفاظ الآيات بصفة عامة على قدر ملحوظ من التوازن والتقارب المقطعي.
- ✓ بعد النظر في الآيات الأربع ، تبين اتصاف الآية الأخيرة والتي قبلها بهاتين الصفتين ، حيث لم يتوال فيهما أكثر من مقطعين قصيرين ولم يتول فيهما أيضا أكثر من أربعة مقاطع متوسطة.

2 : الايقاع في مستوى الصوت

يتوزع الصوت المهموس في سورة النحل حسب الجدول الاتي:

صوت المهموس	عدد مرات التكرار%	بالفتح%	بالضم%	بالكسر%	بالسكون%	بالتنوين%	بالشدّ%
الهاء	46.87	13.33	15.05	14.62	3.44	0.43	/
الحاء	13.33	3.87	0.86	3.4	3.04	/	/
الخاء	12.04	3.87	1.29	2.15	3.87	/	0.86
الكاف	29.24	10.32	13.78	0.86	2.58	/	72.1
الشين	8.17	4.3	0.43	0.43	2.58	/	0.43
الصاد	3.01	0.86	0.43	0.86	0.86	/	/
التاء	4.43	18.92	7.31	2.85	0.43	3.44	1.72
السين	17.63	6.45	2.58	3.44	3.01	/	2.15
الثاء	2.15	0.43	0.43	/	0.86	/	0.43
الفاء	18.92	10.43	15.2	4.73	0.43	0.86	0.43
الباء	26.66	9.89	1.72	9.46	3.87	/	1.72
الجيم	7.74	3.87	0.86	0.43	2.58	/	/
الدال	12.47	3.01	2.58	1.29	3.01	1.29	1.29
الذال	13.33	4.73	/	7.74	/	/	0.86
الراء	34.83	12.47	9.49	8.17	1.72	1.29	1.71
الزاي	6.02	2.15	/	2.58	0.43	/	/
الضاد	2.58	0.43	/	1.29	0.43	/	/
الظاد	2.15	0.86	0.86	/	0.43	/	/
العين	3.44	1.72	1.29	0.43	/	/	/
الغين	2.79	10.32	2.15	1.72	8.6	/	/
اللام	77.4	36.98	11.18	10.32	8.17	1.72	9.03
الميم	72.24	19.35	14.62	15.91	17.63	2.58	2.15
النون	79.98	39.99	6.08	87.3	21.93	0.43	7.74
المجموع	%547.39						

يتوزع الصوت الرخو والشديد في سورة النحل حسب الجدول التالي:

صوت الرخو	عدد مرات التكرار%	بالفتح %	بالضم%	بالكسر %	بالسكون%	بالتنوين%	بالشد%
السين	17.62	6.45	2.58	44.3	3.01	/	15.2
الزاي	6.02	2.15	/	2.58	0.43	/	0.86
الصاد	3.01	0.86	0.43	0.86	0.86	/	/
الشين	8.17	3.4	0.43	0.43	2.58	/	0.43
الذال	13.33	4.73	/	7.74	/	/	0.86
التاء	4.43	18.92	31.7	2.58	0.43	3.44	1.71
الطاد	2.15	0.86	0.86	/	0.43	/	/
الفاء	18.92	10.32	2.15	4.73	0.43	0.43	0.43
الهاء	4687	13.33	15.05	14.62	3.44	0.43	/
الحاء	18.92	3.87	2.86	3.4	3.4	/	/
الخاء	12.04	3.87	1.92	15.2	3.87	/	0.86
الغين	3.44	1.72	1.92	0.43	/	/	/
المجموع	%179.31						
الصوت الشديد	عدد مرات التكرار%	بالفتح %	بالضم%	بالكسر %	بالسكون%	بالتنوين%	بالشد%
الضاد	2.58	0.43	/	29.1	0.43	/	0.43
الكاف	24.29	3.87	13.76	0.86	2.58	/	1.71
الجيم	7.74	3.01	0.86	0.43	2.58	/	/
الدال	12.47	9.89	2.58	1.29	3.01	1.29	1.92
الباء	62.66	0.43	1.72	9.46	3.87	/	1.71
التاء	2.15	0.43	0.43	/	0.86	/	0.43
القاف	18.46	3.4	9.46	3.4	/	/	0.43
الطاء	2.15	0.86	/	0.43	0.43	/	0.43
المجموع	%133.73						

تشير الجداول السابقة إلى أنّ النظام الصوتي في سورة النحل جاء متنوعا وحاويا على تشكيلات صوتية متباينة صفة ومخرجا ، وفي استنطاقنا لهذه الجداول والأرقام برزت لنا حقائق هي :

الملاحظ في الجداول من الأصوات الرخوة التي بلغ عدد انتشارها في النص حوالي ***179.31%*** مرة أصوات لا تنحبس انحباسا محكما وإنّما يكتفي بأن يكون مجراه ضيقا ،ويترتب على ضيق المجرى أنّ النفس أثناء مروره بمخرج الصوت يحدث نوعا من الصفير أو الحفيف تختلف نسبته تبعا لنسبة ضيق المجرى ، وكانت الهاء أكثر الأصوات ،إذ بلغ تكرارها حوالي ***46.87%*** و"الهاء" صوت مهموس عند النطق به يظل المزمار منبسطا دون أن يتحرك الوتران الصوتيان.

وكانت الأصوات الشديد أقل ظهور على الصوت الرخو في "سورة النحل"

حيث بلغ تكرارها حوالي ***133.73%*** وهذا دلالة على أنّ الصوت الشديد يحدث انحباس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبسا تاما في موضع من المواضع فينتج عن هذا الحبس أو الوقف ، وقد جاء صوت "الباء" طاغيا على بقية الأصوات الشديدة ، إذ بلغ عدد تكرارها حوالي ***26.66%*** مرة فهو صوت مهموس وفي تكوينها لا يتحرك الوتران الصوتيان بل يتخد الهواء مجراه في الحلق والفم.

فاقت الأصوات المهموسة كل من الأصوات الرخوة و الشديدة ، إذ بلغ عدد تكرارها حوالي ***547.39%*** إذ نجد تكرار الأصوات الرخو حوالي ***179.31%*** وتكرار الأصوات الشديدة ***133.73%*** وهذا التفاوت واضح بين هذه الأصوات وما يوافق محتويات السورة ، ونظرا لأغراضها وموضوعاتها التي تهدف إلى تهذيب النفس الإنسانية وإبعادها عن المحرمات .

الدراسات الحديثة أثبتت صحة هذا التفاوت ، فالكثرة الغالبة من الأصوات اللغوية في كل الكلام "مجهورة " ، ومن الطبيعي أن تكون كذلك وإلاّ فقدت اللغة عنصرها الموسيقي ورنينها الخاص الذي نميز به الكلام من الصمت والجهر والهمس.

3 : الانسجام الموسيقي

تعد الدراسة الصوتية مهمة في دراسة النصوص الأدبية ، لأن التحليل الصوتي لها بما فيها من أصوات وإيقاعات يساعد في الكشف عن الجوانب الجمالية التي تحملها كما لها دور واضح في انتظام النص وإحكام نسجه.

والانسجام هو أن يكون الكلام خالي من التعقيد متحدرا كتحدر الماء المنسجم ، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة ، والقرآن كله كذلك ، قال أهل البديع < وإذا قوي الانسجام في النثر جاءت قراءته موزونة بلا قصد لقوة إنسجامه ، وقريب منه التلاؤم ، والتلاؤم هو حسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ[1]

وأمّا فصاحة الكلمة فارتبطت بخلوها من تنافر الحروف ، غير أنّ هذا الخلو السلبي يمكن أن يتحول إلى الإيجاب من خلال القول بحسن التأليف ، لتصبح الكلمة الفصيحة هي التي حسن تأليفها ، أي تناسب أجراس حروفها الأصلية بحيث لا يكون في نطقها عسر ولا ثقل ، لأن الانسجام الصوتي لا علاقة له بالأصل أو بالزيادة ، ومنها فصاحة الكلام وهي خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد مع فصاحتها[2]

ومن العناصر المساهمة في إحداث الانسجام هي المحسنات البديعية و السجع والجناس.

ولو تناولنا الآية الأولى وهي قوله تعالى (أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ) النحل(1) مثالا تطبيقيا سنرى من خلالها كيف حدث التناسب ، فأول ما نلحظه الخفة ، وأول كلماتها "أَتَىٰٓ" ، وهي

[1] الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب،إعجاز القرآن،تح: أحمد صقر،دار المعارف،ط3،مصر،(دت)،ص207.

[2] القزويني،جلال الدين محمد،التلخيص في علوم البلاغة،دار الكتاب العربي،(دط)،بيروت،(دت)،ص24.

مبدوءة بالهمزة ونجد ما يعادلها وهي الألف الممدودة في نهايتها ، وصوت الهمزة محدود في الأصوات الخفيفة ، فأخف الحروف وأقلها كلفة هي الألف والياء والواو و الهمزة والنون والتاء والسين واللام[1]

ومن الحركات برزت الفتحة بنوعيها القصيرة والطويلة ، وهي أخف الحركات.

ونجد في الآية الرابعة (خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ) [4] أصوات مفخمة تقابلها أصوات مرققة ، فمطلع الآية مبدوء بصوت "الخاء" المفخم ، وتكتسبت الفتحة تفخيمها من فخامة الصامت ، وتختم الكلمة بصوت مفخم هو "القاف" ، ويتوسط المفخمين صوت مرقق هو "اللام" ، ويتلو هذه الكلمة التي يغلب عليها التفخيم كلمة تقابلها في الصفة وهي "الإنسان" وكلمة "من" ، ثم يعود التفخيم مرة أخرى بكلمة " نُّطْفَةٍ " ويطغى عليها صوت "الطاء" المطبق والمفخم ، ويتلو هذا التفخيم ترقيق " فَإِذَا هُوَ " ثم يعود التفخيم ثانية " خَصِيمٌ " بصوتي الخاء والصاد ، وتنتهي الآية بأصوات ممتعة ومرققة "مُّبِينٌ " ، ونلحظ من هذا تقابلا وتوازنا بين هذه الصفات ،وأن الأصوات المفخمة لم تنفرد بالآية بل جاء ما يعادلها ، ونلحظ كذلك العلاقة الصوتية بين " خَلَقَ " في البداية و" مُّبِينٌ " في النهاية ، وحتى الكلمات المفخمة جاءت سهلة على اللسان بحركاتها ، ويبدو الانسجام واضحا في " خَصِيمٌ مُّبِينٌ " المتقاربتين في الوزن والأصوات ولاسيما في نهاية كل منهما.

[1] ينظر: أنيس إبراهيم، الأصوات اللغوية،ص213.

المبحث الثالث : المستـوى الـدلالـي

هو من أهم عناصر التحليل الأسلوبي لما له من تأثير جوهري على المعاني فهو يركز على الألفاظ وما توحي به من دلالات متنوعة.

1: ايحـــاءات الالفـــاظ

تبدأ السورة بالفعل (أَتَىٰٓ) الموحي بالحركة، وقد جاءت حركته ملائمة لبيئتها وغايتها، أما بيئتها فهي استهلال السورة، وبها أوحت بالانطلاق، وأما غايتها فهي التقوية والتوكيد.

وقد أسند الفعل إلى أمر الله ليفيد تشخيصا وتصويرا ، وقد يجسم القرآن المعنى ويهب للجماد العقل والحياة زيادة في تصوير المعنى وتمثيله بالنفس، وذلك بعض ما يعبر عنه البلاغيون بالاستعارة المكنية وتدل لفظة "أَمۡرُ " على العموم، وحين أضيفت إلى لفظ الجلالة زادت معاني الهيبة فيها والتعبير عن ذلك بأمر الله للتهويل والتفخيم وفيه إيذان بأن تحققه في نفسه وإتيانه منوط بحكمة الله تعالى النافذة وفضائه الغالب[1]

ويتجلى حسن الاختيار في كلمة الروح لتدل على الوحي (يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ) [2] وهذا ملمح بارز في أسلوب القرآن، واعلم أن المعنى الواحد قد يخبر عنه بألفاظ بعضها أحسن من بعض، وكذلك كل واحد من جزأي الجملة، قد يخبر عنه بأفصح ما يلائم الجزء الأخر، واستحضار هذا متعذر على البشر في أكثر الأحوال[2]

وتدل اللفظة على الحياة الدائمة ، وقوله تعالى(فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ) الواقعة[89] تفسيره فحياة دائمة لا موت معها و يقال أراح الرجل واستراح إذا رجعت إليه نفسه بعد الإعياء ، يقول

[1] ينظر: بدوي أحمد، من بلاغة القرآن، مكتبة النهضة، ط3، القاهرة، 1950م، ص221.

[2] ينظر: السيوطي، عبد الرحمان بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن،ج2، الملاح، ط1، دمشق، 1987م، ص269.

تعالى(وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى) الإسراء[85] وتأويل الروح أنه ما به حياة النفس.. قال الفراء: والروح هو الذي يعيش به الإنسان لم يخبر الله تعالى به أحدا من خلقه ولم يعط علمه العباد[1]

ويظهر أنّ إطلاق لفظ الروح على الوحي في غاية المشاكلة، و مما يقوي ذلك أنه تعالى أطلق لفظ الروح على جبريل عليه السلام في قوله(نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ)الشعراء [192] وعلى عيسى عليه السلام في قوله < روح الله > النحل( ) وإنما حسن هذا الإطلاق، لأنه حصل بسبب وجودهما حياة القلب، وهي الهداية والمعارف (1) فإطلاق الروح على ذلك بطريق الاستعارة المصرحة المحققة، ووجه الشبه أن الوعي يحيي القلوب الميتة بداء الجهل والضلال[2] وللتعبير بالروح ظله ومعناه، فهو حياة ومبعث حياة في النفوس والضمائر والعقول والمشاعر، وحياة في المجتمع تحفظه من الفساد والتحلل والانهيار[3]

وتتمركز كلمة الحق في وسط قوله تعالى(خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ) [النحل 3] وتدور القوة الإيحائية حولها، فالحق قوام خلقها، والحق قوام تدبيرهما، والحق عنصر أصيل في تصريفهما وتصريف من فيهما وما فيهما[4].

وقد اكتسبت هذه القوة التعبيرية بتضافر القرائن التي جاورتها، على المستوى الأفقي، وكلمة الحق وخلقه السموات والأرض به، تستدعي إلى الأذهان ما عليه المشركون من الباطل وهذا يفرضه علينا السياق الثقافي وموقعية النص وطبيعة الملتقي الأول لهذا النص ، كما تبقى الإثارة لأي متلقي واع[5]

[1] ينظر: ابن منظور محمد ابن مكرم، لسان العرب دار صادر، ط3، بيروت، 1994م، كتاب الحاء، فصل الراء،ص272.

[2] ينظر: الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين ،روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج14،دار الفكر،(دط)،(دت)، ص93.

[3] ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج13،دار إحياء التراث العربي،ط1،بيروت، 1971 ص227.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ج13، ص228

[5] ينظر: الغانمي سعيد، أقنعة النص، قراءات نقدية في الأدب، دارالشؤون التثقفية، ط1، بغداد، 1991م، ص113.

وحين نتلقى قوله تعالى (لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِ) [النحل7] نلاحظ روعة التعبير وغنى دلالاته، كما ندرك مدى المناسبة وحسن الاختيار لها ،أمّا كلمة شق في هذا التعبير فتضبط على وجهين بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان في معنى المشتقة بينما الفرق هو أنّ المفتوح مصدر شق الأمر عليه شقا وحقيقته راجعة إلى الشق الذي هو الصدع ،أمّا الشق بالنصب كأنه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد[1]

وهذا الاحتمال القائم في ضبط اللفظة ومعناها يغني الدلالة ويزيد من إيحاءاتها ،وحمل اللفظ على كلا المعنيين جائز فإن حملناه على المشقة كان المعنى "لم تكونوا بالغيه إلاّ بالمشقة" وإن حملناه على نصف الشيء كان المعنى" لم تكونوا بالغيه إلاّ عند ذهاب نصف قوتكم أو بدنكم" ويرجع عند التحقيق إلى المشقة[2]

وعلى المستوى الأفقي نجد التوافق بين ذهاب المسافات وقطعها وذهاب نفوس قاطعيها وانشقاق أنفسهم وانشطارها ، والمحدودية والانتباه مشترك ومتبادل بين المسافات والساعين لاجتيازها.[3]

وينقلنا الفعل(تُسِيمُونَ) إلى حقل دلالي خير وإيجابي وذلك في قوله تعالى (وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ) النحل[10]وتسيمون من سمات الماشية إذا رعت فهي سائمة وأسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لأنها تؤثر بالرعي علامات في الأرض.[4]

وتتآزر الكلمات على المحور الافقي لتوفر معاني الحياة في قوله تعالى(هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ) النحل[10]

[1] ينظر: الزمخشري، أبو القاسم جار الله، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج2،دار الفكر،(دط)،بيروت،(دت)، ص401.
[2] ينظر: الرازي،محمد الرازي فخر الدين،تفسير فخر الرازي،المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب،ج19،دار الفكر،ط1،بيروت، 1981م ،ص234.
[3] ينظر: المصدر نفسه، ص235.
[4] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج2، ص403.

وملمح الاختيار يتكرر مع لفظة التسخير ، ويتأكد ذلك، حين نلحظ ما وقع عليه التسخير وممن وقع في قوله سبحانه (وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓ)النحل[12] ويدل التسخير في اللغة على الاحتقار والاستذلال ، وأصل التسخير السوق قهرا، ولا يصح إرادة ذلك لأن القهر والغلبة مما لا يعقل في ما لا شعور له من الجمادات، كالشمس والقمر وعدم تعقله في نحو الليل والنهار أظهر من ذلك، فهو هنا مجاز عن الإعداد والتهيئة لما يراد من الانتفاع، وفي ذلك إيحاء إلى ما في المسخر من صعوبة المأخذ بالنسبة إلى المخاطبين[1]

وإذا راعينا واقع العرب الثقافي والعقائدي وقت نزول تلك الآيات فإنّا نلحظ القصد من اختيارها ، فقد كانوا يعظمون تلك المخلوقات، وقد أراد القرآن أن يستأصل كل تلك التصورات المركزة في نفوس العرب عن الشمس والقمر والنجوم والبحر في آية تليها وهو قوله تعالى (وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ) [النحل13] وأن يقر مكانها الحقائق المتعلقة بها.

وفسر الرازي كلمة الإلقاء في قوله تعالى (وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ) [النحل 15] فقال والإلقاء يقارب الإنزال، لأن الإلقاء يدل على طرح الشيء من الأعلى، الى الأسفل، إلا انى المراد من هذا الإلقاء الجعل والخلق.

ومعنى "ألقيته: نبذته للقاء والشيء الطريح لقى ، والأصل أن قوما من العرب، كانوا إذا أتوا البيت للطواف قالوا لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها ، فيلقونها ، فيسمى ذلك الملقى لقى" [2].

[1] ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج14، ص108.

[2] ينظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد،معجم المقاييس في اللغة،تح: شهاب الدين،دار الفكر للطباعة والتوزيع،ط1،بيروت، كتاب اللام، باب اللام والقاف، ص134.

ولعل هذا المعنى اللغوي الأول يوحي بثقل الملقى، وهو الذنب الثقيل الذي أرادوا التخلص منه.

وعلى المستوى الأفقي كلمات مجاورة ومقاربة لهذا المعنى، وأولها "رَوَاسِيَ " وهي من معنى " الرسو" ، وهو يدل "على الثبات، تقول رسا الشيء يرسو، إذا ثبت، والله جل ثناؤه أرسى الجبال أي ثبتها ، وجبل راس ثابت، ورست أقدامهم في الحرب، ويقال ألقت السحابة مراسيها، إذا دامت . ومن الباب رسوت بين القوم رسوا إذا أصلحت[1]

واللافت في استعمال كلمة الرواسي، الاتيان بوظيفة الجبال و إطلاقها عليها ، ولم يقل :وألقى في الأرض جبالا، وهذا يؤكد مبدأ الانتخاب الحاصل في مفردات هذا النص، فالإلقاء ثم الرواسي ثم(أَن تَمِيدَ بِكُمْ) [النحل 15]

وبهذا يتضح أن المعاني التي تحدث عنها الرازي من الجعل والخلق، وإن كانت حاصلة من لفظ الإلقاء، إلا أن الاهتمام سلط على الإلقاء تحديدا ، وذلك لتتوافق مع الكلمات المجاورة ، ولكي تستدعي حقلا دلاليا قوامه الثبات والرسو وليس مجرد الخلق. ويستدعي الثبات الحسي ثباتا في الإيمان تدعمه البراهين والأدلة الرواسي[2]

وتوحي كلمة "لا تحصوها" في قوله تعالى(وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ)[النحل 18] بمحدودية الإنسان من جهة، واتساع النعم وإحاطتها به من جهة أخرى، وقد اكتسبت تلك الصفة بإضافتها إلى (الله)، ومعنى لا تحصوها لا تضبطوا عددها، ولا تبلغه طاقتكم، فضلا على أن تطيقوا القيام بحقها"[3].

[1] ينظر: المرجع نفسه، بابا الراء والسين، ص141.
[2] ينظر: الرازي، التفسير الكبير، ج20، ص10
[3] الزمخشري، الكشاف، ج2، ص405.

ومعنى قوله تعالى(أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖ) [النحل 21] بجمادات ميتة لا حياة فيها ، فهناك من الأموات مايعقب موتها حياة كبعض أجساد الحيوانات ، وهناك أموات لا يعقب موتها حياة كالحجارة[1]

وقد اختزلت لفظة الموت كل صفات السلب، وهي أبشع الألفاظ إلى الإنسان وأكرهها إلى نفسه، وتستدعي اللفظة معاني الخراب والسكون والوحشة والانقطاع عن النعم والجمود والظلام.[2]

ومن الألفاظ الموحية "يشعرون" في قوله تعالى ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾[النحل21] فالمشاعر هي الحواس ، وإن معنى "لا تشعرون" بمعنى لا تدركون بالحواس ولو قيل في كثير مما جاء فيه لا تشعرون لا تعقلون لم يجز إذ كثير مما يكون محسوسا يكون معقولا[3]

وفي اختيار هذا اللفظ، وإضافته إلى الأصنام المعبودة ضرب من التهكم ، لأنها ليست عديمة الشعور وحسب بل هي عديمة الحياة بالكلية، ويستدعي نفي الشعور عنها الجانب الوجداني المفقود من العلاقة بينهم وبينها، فالعلاقة بينهما عقيمة فهم يقدسون ويعبدون جمادات خالية من الشعور و العبادة تستلزم منتهى الاحترام القلبي ، ومنتهى الخشوع واللجوء من العابد، ومن المعبود التجاوب مع العابدين وحمايتهم وتوفير الملاذ لهم ، وهذا يتطلب قرب الصلة وحرارتها ودوامها في أي حيز زماني أو مكاني ، وفي أي ظرف إنساني وإلا فقدت العبادة معناها وصارت طقوسا عبثية خاوية[4]

وحين أتيح للكفار أن يصفوا القرآن أو يحكموا عليه وصفوه بـ (أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ) [النحل24]

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص 406.
[2] ينظر: المرجع نفسه، ص407
[3] ينظر الألوسي، روح المعاني، ج14، ص120.
[4] ينظر: المصدر السابق، ج14،ص120.

والأساطير هي الحكايات الوهمية الحافلة بالخرافة وكأنها أشياء كتبت من الباطل فصار ذلك اسما لها ، وتلتحم بالأولين عن طريق الإضافة، لتكثف من الدلالة على البلى والقدم وتزد من الإيحاء بأولية المعلومات والمعارف وسذاجة التفكير وبساطته.

كما أوحى التعبير بذمهم للقران الكريم ،فقد أوحى بمدحهم أنفسهم فهم في مرتبة فكرية وحضارية متقدمة ،وأصحاب منجزات لا تسمح لهم بالعودة إلى ما تجاوزوه لكنهم في الوقت نفسه يكنون لهذا الكتاب شينا من الرهبة لأن "الأساطير" توحي بالتنسيق والترتيب وهم بذلك، لم يتخلصوا من أثر القرآن فيهم.[1]

وفي قوله تعالى(**ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍ**)[النحل25] تلويح وتعريض بالمشتركين وقد أكثر القرآن الكريم من استعمال هذا الأسلوب، ولا سيما مع العرب ورأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة و الوحي والحذف واذا خاطب بني اسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطا ، وزاد في الكلام والتعريض " ان تذكر شيئا يدل على شيء لم يذكر ، وأصله التلويح من عرض الشيء"[2]

وتثير الآية في قوله تعالى (**وَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ**) [النحل27] الإنتباه وتوقظ في نفوس المتلقين تساؤلات ، وقد جاءت على غير المتوقع، وخلافة المعتاد وفي ذلك زيادة في توبيخهم ، ويتضح ما لهذا التعبير من أثر نفسي لدى المشركين في ذلك الموقف وهو يذكر في مشاهد أخرى جارية على هذا الأسلوب الذي يهدف إلى التحقير والإهانة [3]

كما جسدت الآية في قوله تعالى (**فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ**) [النحل29] النار وأبرزت معالمها كما أغنت الدلالة ونوعتها ، وهذا يدل على تفاوت منازلهم في العقاب ، فيكون عقاب

[1] ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج13، ص38

[2] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار إحياء الكتب العربية، ط1، القاهرة،1327هـ، ص135

[3] ينظر: جلال الدين عبد الرحمان، الإيضاح في علوم البلاغة،ج1، تح: لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية، بالجامع الأزهر، مطبعة المحمدية، (دط،) القاهرة، (دت)، ص144.

بعضهم أعظم من عقاب بعض ، كما يراد بالأبواب أصناف العذاب ، كما تحيل أيضا إلى عالم جديد مجهول لمن لم يدخله بعد ويحيل تعددها كذلك إلى سعة المكان وتنوع أقسامه [1].

وتختزن كلمة "طيبين" في قوله تعالى (ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ) [النحل32] معاني جمة ذلك لأنه يدخل فيها إتيانهم بكل ما أمروا به واجتنابهم عن كل ما نهوا عنه ويدخل فيها كونهم موصوفون بالأخلاق الفاضلة ، مبرئين عن الأخلاق المذمومة ، ويدخل فيها كذلك أنه طاب لهم قبض أرواحهم وأنها لم تقبض إلاّ ببشارة إلى الجنة.[2]

ويوحي حرف الجر (إلى) في التعبير القرآني (أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ) [النحل80] بمحدودية النعم وانتهائها عند زمن محدد لكنه مغيب عن الخاطبين ،وذلك أن "إلى" تفيد إنتهاء الغاية الزمانية ، ومعنى التعبير هو "إلى أن تقضوا منه أوطاركم"، أو "إلى أن يبلى ويفنى"، أو إلى أن تموتوا" وهذا يجعل المتلقي يقف على حقيقة وجوده والمخلوقات من حوله.[3]

ومن الأفعال التي تصور الحركة البطيئة "تزل" في قولة تعالى (فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ) [النحل94] وهي تنذر بانقلاب الحالة ،وهو استعارة للوقوع في أمر عظيم لأن القدم إذا زلت انقلب الإنسان من حال خير إلى حال شر.

وتدور الكلمة حول معاني الاضطراب والقلق ... والكلمات الجارية في واديها هي الزلزلة وزلة اللسان.[4]

[1] ينظر: الرازي، التفسير الكبير،ج20، ص22.
[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 25، ص26
[3] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج2، ص122.
[4] ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج14، ص224.

المبحث الرابع المستـوى التركيبـي

ترتكز البنية التركيبية في سورة النحل على وصف نظام الجملة فيها ونسق العبارة وكيفية تكوينها ، وتعد الجملة أكبر وحدة قابلة للتحليل في المادة اللغوية ، وتنقسم الجملة إلى قسمين خبرية وإنشائية ، وهذا ما سنتطرق إليه في الآتي.

1 : الشـــرط

اتفق النحاة وعلماء اللغة قديما وحديثا ونصوا على أن الشرط يربط بين جملتيه فيجعل الأولى سببا والثانية مسببة عنها.

وأدوات الشرط تقوم بوظيفتها في الربط سواء كانت جازمة أم غير جازمة ، وأساس علاقة الشرط قائمة على الاستلزام.[1]

"وليس أسلوب الشرط بعيدا عما تناولته الدراسات النصية الحديثة عند حديثها عن علاقات الترابط داخل النص، وذلك حينما يعقد فيه عنصر معين في الخطاب على عنصر آخر فالأول يفترض الثاني، بمعنى أننا لا يمكننا فك شفرته بنجاح إلا بالعودة إلى الثاني".[2]

وبعد فـ "إن للشرط في العربية وظيفتين، أولهما معنوية وهي إضافة معنى الشرط إلى الجملة الخبرية، وثانيهما أسلوبية أو تركيبية، وهي جعل الجملة الثانية معلقة بالأولى تعليق المسبب بالسبب أو المعلول بالعلة، أو الملزوم باللازم[3]

[1] حميدة مصطفى، نظام الارتباط و الربط في تركيب الجملة العربية، مكتبة لبنان، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر،ط1،مصر، 1997م، ص202.

[2] يول بروان، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي، النشر العلمي والمطابع، (دط)، جامعة الملك سعود،السعودية، 1997م، ص228.

[3] ينظر: المصري عبد الله بن يوسف، رسالة المباحث المرضية،ج1، تح: مازن مبارك، دار إبن كثير، ط1،القاهرة، (دت)، ص66.

1/1 : جملة الشرط المبدوءة بـ (ان)

لا تستعمل إن إلاّ في المعاني المحتملة المشكوك في كونها، فقد اتفق البصريون والكوفيون على هذا "أما الكوفيون فاحتجوا... لأن "إن" الشرطية تفيد الشك بخلاف "إذ" ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول إن قامت القيامة كان كذا[1]

وتفيد "إن" في قوله تعالى (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ) [النحل18] الشك في أن يخطر ذلك ببالهم، وهم الغافلون عن حضور هذه النعم أو اتساعها وامتدادها كما أن الشك يظل قائما حتى لو خطرت تلك النعم ببالهم[2]

وإذا نظرنا إلى قوله تعالى (فإن تولوا...) النحل(92) في سياقها انكشفت لنا بعض مزايا هذا التعبير ، فقد حشدت الآيات قبلها قدرا هائلا من الأدلة والعلامات الماثلة ما جعل التولي أمرا مشكوكا فيه لكل مخاطب يعقل ويتفاعل، والذي يقوي هذه الأدلة حرف "الفاء" الذي دل على الترتيب والتعقيب والمعنى "فإن تولوا فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعد ما أديت ما وجب عليك من التبليغ"، فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب وفي هذا القلب للسبب مكان المسبب دلالته إذ يصبح المعنى " فإن بلغت البلاغ المبين فتولوا فعليك البلاغ المبين" وقد يفيد هذ ا التعبير الشكلي استمرارية التبليغ، فلا يعدو توليهم أن يكون منتجا تبليغا ومسببا بيانا[3]

ويخرج الشرط في قوله تعالى (إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)[النحل95] مخرج التهييج ومعنى "إن كنتم تعلمون"هو "إن كنتم من أهل العلم والتمييز" والذي يقوي هذا الوجه في الشرط هو أن المخاطب به المسلمون ، إذ المراد بـ قوله تعالى (وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ)[النحل95] بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإيمان".[4]

---

[1] ينظر: الأنباري كمال الدين أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف،ج2، دار المعارف ،ط4،مصر، 1961م، ص632.

[2] ينظر: الرازي، التفسير الكبير، ج20، ص14.

[3] ينظر: الزمخشري: الكشاف، ج2، ص423.

[4] الألوسي، روح المعاني، ج14، ص224.

1/2 : جملة الشرط بـ (إذا):

جاء هذا النوع من الجمل الشرطية مفيدا لتّلازم الحتمي والاقتران اليقيني بين جملة الشرط وجوابه، وكأن الأول سبب من الأسباب الكونية التي توصل إلى نتائجها ولا تتخلف، لأن "إذ" و"إذا" ليس فيهما معنى الشك ،والسبب في ذلك أنهما ظروف تضمنت معنى الشرط، وفي "إذا" معنى المجازاة دون "إذ"، أما "إذا" فلما يستقبل من الزمن وفيها مجازاة وهي ظرف ، وبالنظر إلى الظرف تدخل على المتيقن كسائر الظروف وقد خالفت "إذا" "إنّ "في إفادة العموم ، ومثال هذا قوله تعالى (ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ) [النحل53] إيراد "إذا" دون "إنّ" لتّوسع به إلى تحقيق وقوع الجواب[1]

1/3 : جملة الشرط بـ (لو):

الحالة الدلالية العامة التي يوفرها أسلوب الشرط باستخدام "لو" هي امتناع حالة معينة مع وجود دواع لها، أمّا أسباب الامتناع فهي مجهولة. وعلى الرغم من أن تلك الحالة ممتنعة ومنفية لكن هذا لا يمنع من استحضارها إلى الذهن.[2]

ففي قوله تعالى (وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ) [النحل35] محاولة من المشركين للتذرع بمشيئة الله الممتنعة على حد زعمهم، وهم بذلك يعزون ذاك الامتناع إلى مجهول وكانت الآيات قبلها قد حشدت عليهم أدلة وحججا أشعرتهم بالضيق وألجأتهم إلى هذا المخرج الموهوم.[3]

والآية (وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ) [النحل61] هي على غرار الأولى، لكن مضمونها مختلف، اذ أن سبب امتناع المؤاخذة السريعة والتامة مجهول أو أن هذه

[1] ينظر: المصدر نفسه، ص143.

[2] ابن هشام الأنصاري، مغني لبيب عن كتب الأعاريب،ج1، دار إحياء الكتب،(دط)، دمشق ،(دت)، ص205.

[3] المرجع نفسه، ص205

الآية لا تتصدى للكشف عنهم وعلى الرغم من أن المؤاخذة ممتنعة ولكن ذلك لا يمنع من استحضارها

ويلحظ في الأسلوب الشرطي لهذه الآية التساوي والتوازي بين كفتيي الشرط، فما أتوه من القبائح قد تناهى إلى أمد لا غاية وراءه ، وكذا ما استحقوه من العذاب، ثم إن عظم العذاب يؤشر إلى عظم الجرم[1]

ولا تكشف لنا الآية (وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً) [النحل93] عن السبب في امتناع ذلك المذكور في الآية، وقد تكشف لنا نصوص قرآنية أخرى عن ذلك، وهي التي تبين الغاية من خلق الإنسان، وما خص به من القدرة على الإختيار والحرية في الإرادة.

لكن ربما أشار أسلوب الآية إلى أن ذلك رغم امتناعه مرغوب فيه، بل إنه لم يمنع من دعوة الناس كلهم إلى اعتناق الاسلام ، و إلى جعل الإسلام ظاهرا على كل الأديان، وإلى أن يكون الدين كله لله[2]

1/4 : الشرط بـ(ما):

هي أداة تفيد العموم لأنها معلقة بالشيء ، والآية المنظومة وفق هذا الأسلوب هي(وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ) [النحل53] و"ما" من باب الأسماء التي يجازى بها، وتكون بمنزلة الذي، فإذا جعلتها بمنزلة الذي قلت: ما تقول أقول وقال الخليل رحمه الله: إن شئت جعلت "من" بمنزلة إنسان وجعلت ما بمنزلة شيء[3]

[1] العمادي، إرشاد العقل السليم إلى القرآن الكريم،ج5، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت،(دت)، ص120.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص122.

[3] ينظر: سيبويه،أبو بشر عمرو، الكتاب، ج2،تح:عبد السلام هارون،مكتبة الخانجي،دار الرفاعي،ط2،الرياض،1988 ،ص105.

وبهذا يصبح معنى الآية "وأي شيء حل بكم أو اتصل بكم من نعمة فهو من الله" وهذه اللفظة تفيد العموم وإنّما دخلت الفاء في قوله "فمن الله" لأن الباء في قوله "بكم" متصلة بفعل مضمر، والمعنى: "ما يكن بكم أو ما حل بكم من نعمة فمن الله[1]

1/5 : الشرط بـ (أينما):

للشرط بـ (أينما) ميزات نستقيها من وظيفة هذه الأداة في تركيب الجملة، ومن معناها الوضعي أيضا، وقد تحدث سيبويه فقال وسألت الخليل عن "مهما" فقال هي "ما" أدخلت معها "ما" لغوا ، وذكر في موضع آخر ولا تكون أين إلاّ للأماكن.

وتفهم دلالة أينما على العموم من قول سيبويه: "أين"(أي مكان؟)، ولعل المعنى المستفاد من هذا الأسلوب هو أن فعل الشرط وجوابه يستغرقان الأماكن كلها المعلومة والمجهولة.[2]

وهذا الأسلوب يظهر في قوله تعالى (**أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ**)[النحل4] ومعنى التوجيه أن ترسل صاحبك في وجه معين من الطريق (2)، وإذا نظرنا إلى الأداة مع ضميمتها يتعزز لدينا معنى الضعف والعجز اللذين يتمثلان في ذلك العبد فحيث ما يصرفه في مطلب حاجة أو كفاية لم ينفع ولم يأت بنجاح[3]

[1] الرازي، التفسير الكبير، ج20، ص 52.
[2] ينظر: المرجع السابق، ج4، ص233.
[3] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 421.

1/6 :أسلوب الطلب:

والأسلوب الأخير من أساليب الشرط هو أسلوب الطلب المتضمن معنى الشرط وهو بانتقاء أداة الشرط منه مطلقا غير مقيد بأداة معينة، وهو من جهة أخرى يوحى بالتلقائية وبالعلاقة الآلية بين جملة الطلب وجملة الجواب[1]

ولاشك أن ما قيل عن أسلوب الشرط يقال عن هذا الأسلوب، وقد جاء في الكتاب "هذا باب من الجزاء ينجزم فيه الفعل إذا كان جوابا لأمر أو نهي أو استفهام أو تمن أو عرض[2] إنّما انجزم هذا الجواب كما انجزم جواب إن تأتني بإن تأتني، لأنهم جعلوه معلقا بالأول غير مستغن عنه، كما "إن تأتني" غير مستغنية عن "أتك" ، وقد انجزم جواب الأمر والنهي والاستفهام والتمني والعرض بإضمار شرط في ذلك كله ، والدليل على ذلك أن الأفعال التي تظهر بعد هذه الأشياء إنّما هي ضمانات يضمنها ويعد بها الآمر والناهي ، وليست بضمانات مطلقة ولا عادات واجبة على كل حالة،إنّما هي معلقة بمعنى، إن كان ووجد وجب الضمان والعدة، وإن لم يوجد لم يجب.[3]

وتظهر التلقائية في قوله تعالى (كُن فَيَكُونُ) [النحل40] من "كان" التامة التي بمعنى الحدوث والوجود. أي إذا أردنا وجود شيء، فليس إلاّ أن نقول له أحدث، فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف.[4]

ونلحظها أيضا في قوله تعالى (وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا) [النحل94] ونصبت "فتزل" على جواب النهي ، وهو استعارة لمن كان مستقيما ووقع في أمر عظيم وسقط ، لأن القدم إذا زلت تقلب الإنسان من حال خير إلى حال شر ، كما

[1] سبويه، الكتاب، ج3، ص92.
[2] المبرد،أبو العباس بن يزيد، المقتضب، ج2،تح: عبد الخالق عضيمة،عالم الكتب،(دط)، بيروت،(دت)، ص92.
[3] المصدر السابق، ص94.
[4] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج2، ص410.

يحتمل أن تكون "فتزل" قد نصبت بأن مضمرة في جواب النهي لبيان ما يترتب عليه ويقتضيه(3)

2 :الحال

ظهر الحال في السورة ظهورا بارزا، وذلك من خلال ظهوره أربعين مرة في النص ، فضلا عن الحالات التي تحتمل الحالية، إلاّ أن ثبوتها أقل من ثبوت هذه الحالات ، ولا شك أن هذا الحضور الكثيف للحال قد بث في أرجاء السورة الحيوية وأضفى على النص الآنية والنبض المستمر، وهذا شأن الحال وميزته، "والحال إنّما هي وصف من أوصاف الفاعل، أو المفعول، قي وقت وقوع الفعل منه" و" إنّما سميت حالا لأنه لا يجوز أن يكون اسم الفاعل فيها إلا لما أنت فيه تطاول الوقت أم قصر، ولا يجوز أن يكون لما مضى وانقطع، ولا لما لم يأت من الأفعال ،إنما الحال هي هيئة الفاعل أو المفعول وصفته في وقت ذلك الفعل".[1]

وتستدعي السورة انتباه الدارس لهذا النص عدة حالات، برز فيها التصوير القائم على الاختيار، ويتجلى هذا في قوله تعالى(يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ)[النحل2] فالملائكة تنزل بما يحي القلوب الميتة بالجهل من وحيه، أو بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وليست هي نازلة بالقوة أو بالعذاب أو غير ذلك

وفي قوله تعالى(وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ) [النحل5] أي "ما خلقها إلاّ لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان" ثم لما أخبر سبحانه بأنه خلقها لبني آدم بين المنفعة التي فيها لهم، فقال(دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ) النحل(4) [2]

[1] الألوسي، روح المعاني، ج 4، ص184.

[2] ينظر:الزمخشري، الكشاف، ج2، ص ص400-401.

وحين تحدثت السورة في قوله تعالى (وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِ)[النحل7]عن الدواب التي تحمل الأثقال لم يجعل وجه المنة توفير الوقت، مع أنه متحقق بها، وقريب من الوجه المذكور. وإنما كان الاهتمام بالمشقة والتعب الشديد.

وعند تناول النص القرآني في قوله تعالى (وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓ) [النحل13] للمخلوقات المبثوثة على الأرض، لم يعمد إلى وجوه التشابه بينها وهي كثيرة وهي ،لكنه عمد إلى وجوه الاختلاف ، ولعلها الأقرب إلى هدف الآية و الآيات جميعا ، وهو إقامة الحجج ، ولفت الأنظار إلى حقائق الدين ، فإن نرى هذه الأشياء على اختلاف الألوان والأشكال مع تساوي الكل في الطبيعة الجسمية آية عظيمة دالة على وجود الصانع سبحانه وتفرده.[1]

أمّا السفن فقد اختيرت لها حالة الجري على الماء واختير لها الجري وصف خاص وهو المخر وهذا في قوله تعالى(وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ) [النحل14].

وفي المقابل تتوفى الملائكة المؤمنين الطيبين في قوله سبحانه (ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ) [النحل32] والمعنى أنهم صالحوا الأحوال مستعدون للموت ،والطيب الذي لا خبث فيه وإذا توفتهم الملائكة طيبين، فإنها تحييهم بالسلام قال تعالى (يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ) [النحل32] و "يقولون" حال من الملائكة.[2]

والّذين مكروا السيئات يأخذهم الله في تقلبهم قال تعالى(أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ)[النحل46]، ولعلّ اختيار هذه الحالة، كان لغرض إبعاد أيّ وهم من الأوهام التي قد

[1] ينظر: الشوكاني محمد بن علي بن محمد، فتح القدير،ج2، دار الكتب العلمية،(دط)، بيروت، (دت)، ص189.
[2] الألوسي، روح المعاني، ج4، ص133.

ترد على أولئك الكفار، حين يظنون أنّ حالة الحركة والتقلب هي أبعد ما تكون عن الإفناء والتدمير ، فهو يأخذهم بالعقوبة قي أسفارهم فإنّه تعالى قادر على إهلاكهم في السفر، كما أنه قادر على إهلاكهم في الحضر، وهم لا يعجزون لله بأن يدركهم عقابه أينما كانوا.[1]

3:التقديم والتأخير :

حقق التقديم والتأخير في السورة غايات دلالية وأسهم مع غيره في سبك النص وتقليب وجوه التعبير فيه ، مما أبعد عنه الرتابة والملل.

والتقديم والتأخير قد ينظر إليه من منظور الرتبة المحفوظة والرتبة غير المحفوظة ، وقد ينظر إليه بوصفه عائد إلى اختبارات أسلوبية محضة.

في السورة آيات أدى التقديم فيها أغراضا دلالية واضحة تعمد إلى إبراز المقدم والعناية به أو تخصيص المعنى فيه ، بالإضافة إلى غايات أخرى من ذلك قوله تعالى (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) [النحل5] والجملة جزء من آية من الله سبحانه وتعالى (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ) [النحل5] وأول الآية شديد الارتباط بآخرها ، فالبداية تشعر بالتخصيص ، أي "ما خلقها إلاّ لكم ولمصالحكم ، ويتعزز هذا المعنى ويلمس أثره بالجملة الأخيرة من الآية وهي تحكي ما يجري في حياتهم اليومية من تجسيد للمعنى ، وقد قدم فيها الخبر أو متعلق" منها " لتؤكد عملية الانتفاع منها بالأكل[2] ، وهذا التقديم أظهر أهمية الأنعام بوصفها طعاما للإنسان كما أسهم في سبك الآية إذ جاءت الجملة الأخيرة ومنها " تأكلون" مماثلة مع سابقتها "فيها دفئ ومنافع" ،كما تماثلت مع الآية اللاحقة لها في قوله تعالى(وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ) [النحل6][3]

[1] الرازي، التفسير الكبير، ج2، ص7.
[2] الزمخشري، الكشاف،ج2، ص401.
[3] القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، ج2، ص401.

وقريب من هذا التركيب قوله تعالى (وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ) [النحل9] غير أن التخصيص في هذا أوضح ، إذ لا سبيل للناس إلى الهداية الواضحة المعالم إلاّ بالرسالات التي أرسلها الله والبيان الذي بينه ، فقد يهتدي الإنسان إلى الإيمان بالخالق لكنه لن يهتدي إلى مايريده إلاّ ببيان منه فالمعنى "وعلى الله بيان قصد السبيل" ونلحظ انسجام التركيب الثاني في الآية (وَمِنۡهَا جَآئِرٞ) [النحل9] ورتبة الخبر والمبتدأ في الثاني رتبة محفوظة وحتى في الآية التالية تبقى التراكيب المناظرة لهذا التركيب متماثلة معه في الآية (مِّنۡهُ شَرَابٞ) [النحل10]والآية (وَمِنۡهُ شَجَرٞ) [النحل10] والآية (فِيهِ تُسِيمُونَ) [النحل10]

ويحقق التقديم في قوله تعالى (وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ) [النحل 16] دلالات معنوية مع تحقيقه تناسبا صوتيا ،وليس أحد الأمرين على حساب الآخر ،بل إنّ كل منهما يتطلب التقديم مستقلا عن الآخر ،والمعنى المستفاد من هذا التركيب هو بيان أهمية النجم في حياة العرب ،كأنه قيل "وبالنجم خصوصا هؤلاء يهتدون" ويأتي التركيب في سياق موضوع الهداية ، إذ سبق بقوله(لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ)[النحل 15] تعقيبا على خلق الله سبحانه وتعالى لمخلوقات دالة على الهداية ،وبهذا وحد التقديم موقعية الهداية في الآيتين فالأولى مختومة ب "تهتدون"والثانية مختومة ب "يهتدون"[1]

وفي معرض الحديث عن إستكبار الكفار عن الخضوع لخالقهم يكشف النص القرآني عن شأن المخلوقات وخالقها إزّاء هذه المسألة في قوله تعالى (وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ)[النحل 49] فهي لا تعبد سواه ،وهم يستكبرون

[1] لزمخشري ،الكشاف، ج2،ص405

على عبادته ،والتقديم هنا لإفادة القصر ،والآية تنكر عليهم ذلك وكأن المعنى" أتكفرون بالله وكل شئ سواكم يفرده بالعبادة"[1]

ويتلو هذا التركيب تركيبا قبله ،قدم مفعوله على فاعله في قوله تعالى (ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ)[النحل 53] ولعله يكشف عن سبب جؤارهم ، فالضر قد مسهم ولم يكونوا ليجأروا لو أنه أصاب غيرهم ، ويدل على عنايتهم الشديدة بأنفسهم أن الضر قد مسهم" مساسا يسيرا " فجأراو إلى الله والجؤار هو رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة والغريب هو أنهم يلجأون إلى الخالق الذي يكفرون به ويستكبرون عن عبادته[2]

وفي السورة مواضع قدم المفعول فيها على الفاعل ، وأدى ذلك دلالات واضحة منها قوله تعالى(وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ)[النحل33] وفيها قدم المفعول على الفعل والفاعل مايزيد من ابرازه ، وذلك أن أصل وضع المفعول أن يكون فضلة وبعد الفاعل ، وظلم الإنسان نفسه أمر غريب ومخالف لطباع الإنسان مهما كان ،لإفادة أنّ عاقبة ظلمهم راجعة إيهم ومقصورة عليهم

[1] –الألوسي ،ركن المعاني ،ج14،ص157.

[2] نفسه ،ص134.

المبحث الرابع : المستوى البلاغي :

اشتملت السورة على آيات تضمنت أنواعا من وسائل التصوير البلاغي كالاستعارة والتشبيه والمجاز،وسنتناول هذه الصور محاولين إبراز دلالاتها وعلاقتها بالسياق.

1 : الاستعارة :

تبدأ السورة بصورة تتمثل في إظهار الأمر الآتي مستقبلا في صورة ما أتى في قوله تعالى(أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ) [النحل1] والدلالة الحاضرة في النص هي دلالة الأمر المنجز، لكن الألفاظ على المحور الافقي في قوله تعالى(أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ) [النحل1] فكان من أثر الأولى وقوع النفس تحت سلطاتها ، فقد نزل قوله (أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ) [النحل1] فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤوسهم.[1] ولما عدلت الدلالة تشكلت الصورة على نحو فريد مازجة بين دلالة اللفظ المستعار و المستعار له ، وهي على طريقة الاستعارة بتشبيه المستقبل المتحقق بالماضي في تحقق الوقوع، ونتج عن ذلك التفاعل بين هاتين الدلالتين قدر من التوتر في نفوس المهددين ، فصار ذلك الآتي جزءا من الحتميات كالموت الذي لم يفلت من قبضته أحد من الماضين فصار مترقبا ومؤرقا للحاضرين ، فكانت فاعلية السورة مناسبة لمضمونها كما كانت متسقة مع السياق الثقافي الذي كان عليه مشركوا العرب.[2]

وتصور الآية (قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ)[النحل2] معتقدات الكفار وأفكارهم المتفرعة عنها صورة البنيان المادي ذي القواعد والأركان ويصعب على المتلقي إقامة حواجز بين الصورة وما تصوره ويكاد من شدة اندماجه في الصورة أن يضل فيها إذ أن اكتمال عناصرها وفّر لها وجمالها الوجودية ، وهذا في التصوير على ذكر البنيان ثم أردفه بذكر القواعد فالسقف وزادت

[1] الرازي، التفسير الكبير، ج19، ص223.
[2] الألوسي، روح المعاني، ج4، ص90.

كلمة خرّ من حضور الصورة ،والبناء كان ماديا والهدم كان ماديا كذلك ولهذا أثر في نفس المتلقي إذ أنه تصوير بالحس ، وتظهر الصورة البناء المادي ممتزجا بالفكر ومستند إليه إذ هو حصيلة مكر الكفار ، ثم نهاية العذاب في قوله تعالى **وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ**) فحالهم كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالأساطين فأتى البنيان من الأساطين بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا[1] ، ولا تخفى العلاقة بين حركة العمران وطراز العيش من جهة وطبيعة العقيدة وشكل الأفكار من جهة أخرى ، بل إنّ البناء المادي والأشكال الفنية في كثير من الأحيان تتأسس على أفكار أصحابها عن الوجود ، ثم تتشكل بحسبها كما أن الحركة العمرانية تزدهر بازدهار الفكر وتتقهقر بتقهقره.[2]

وفي الآية(**وَلَا تَنقُضُوا ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا**) [النحل91] سلط النقض على الأيمان وكثر استعمال النقض في هدم الماديات و النقض هو" إفساد ما أبرم من عقد أو بناء... والنقض اسم البناء المنقوض إذا هدم[3] وهذا يشرح دلالة الهدم وكأن اليمين بناء محكم ، والنكت به هدم له، وللصورة أثرها النفسي ، إذ تصور سلبية هذا العمل ، وتتعزز الصورة بالآية التالية قال تعالى (**وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا**) [النحل 92] وتطيل الصورة الحاصلة بـ "**وَلَا تَنقُضُوا ٱلْأَيْمَٰنَ** " أمد ذلك العمل وتكشف مكنوناته.(4)

وتصور الآية (**وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا**)[النحل95] استبدال الدنيا بعهد الله بصورة الشراء وتكشف عن الرغبة المالية المسيطرة ، وتسبب للواقعين فيها حرجا يتمثل في الكشف عن واقعهم الذي طغى فيه المال على كل أوجه حياتهم حتى ألبسوها على تبانيها وجها واحدا رغم كونه لا يصلح إلاّ لواحدة منها ، وليس هنا شراء ولا بيع ، لكن رغبتهم فيه بتمسكهم به كرغبة

[1] الزمخشري، الكشاف، ج2، ص ص406-407.
[2] المرجع نفسه، ص 207.
[3] ابن المنظور، لسان العرب، حرف الباء، فصل جيم، ص194.

المشتري بما له ما يرغب فيه وينساق التصوير الى جزئيات هذه العملية ، فيدخل في مقاييسها ، فإذا بها خاسرة إذ أن المشتري مهما كان في مقابل المبذول ثمن قليل ، ولكن كلمة الثمن توشك ان تقلب الصورة عن أولها ، فتجعلهم بائعين من حيث أرادوا أن يكونوا مشترين وهكذا يبدأ التصوير برغبة في الربح وتوجها لتحقيقه ، وينتهي بخسارة ، ثم ينكشف الموقف عن كونهم باعوا ، بما تحمله هذه دلالات أضعف من دلالات الشراء لاسيما وهي خاسرة.[1]

وسلط الاتباع في قوله تعالى (ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ) [النحل123] وأوحى تركيب الجملة بصورة فحواها "أن الملة تسير ، والناس يسيرون خلفهما" ، ولم يسند الاتباع إلى إبراهيم عليه السلام ، وما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم ليس بتابع له ، بل هو مستقل بالأخذ عمن أخذ إبراهيم عليه السلام ليظهر أن الانقياد انما هو للوحي بالأصالة.[2]

وأسند وصف الكذب إلى ألسنة الكفار في السورة مرتين ، مرة على سبيل الإخبار في قوله تعالى (وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ) [النحل62] لتقرير هذه الحقيقة ، ومرة على سبيل النهي في قوله تعالى (وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ)[النحل116] وكأن ألسنتهم قد أصبحت آلة وظيفتها وصف الكذب وإنتاجه ، وكأن ألسنتهم لكونها منشأ الكذب ومنبعا للزور شخص عالم بكنهه، ومحيط بحقيقته يصفه للناس ويعرفه أوضح تعريف وهذا من باب الاستعارة بالكناية[3] وإذا نظرنا إلى السياق الذي جاءت فيه الصورة نجد أنها جاءت على مستوى النص بعد تكرار تكذيبهم ، حيث وصفوا القرآن بالأساطير، وادعوا رضى الله عن شركهم ، وأنكروا البعث وغير ذلك ، وعلى مستوى الواقع كانوا يكذبون الرّسول عليه الصلاة والسلام ويفترون عليه.[4]

[1] الزمخشري ، الكشاف، ج2، ص 427.
[2] الألوسي، روح المعاني، ج 14، ص 252.
[3] المصدر السابق، ص 427.
[4] ينظر: المصدر نفسه، ص 427.

وينهى الله تعالى عن اتخاذ الأيمان دخلا في قوله (وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا) [النحل94] ويتصدر الصورة نهي وتتفاعل دلالتها لتفضي إلى حالة يشوبها التأرجح ويعوزها الثبات، وتبدو فاعليتها لصيقة لا أصلية ، ورغم احتواء هذه الحالة على عوامل ثبات، غير أنها ليست فاعلة ، فالأيمان وسيلة للغدر والخديعة ، والثبوت حالة ماضية، وتنشط في تشكيل الصورة الاستعارة، المتمثلة في استعارة القدم واستناد الزلل إليها والصورة المتحصلة من الاستعارة والمجاز صورة إنسان يقف على أرض طينية رطبة، ويتقاطع هذا الجانب من الصورة وما كان بعض الناس عرضة له في أمر الاسلام والثبات عليه ، إذ المراد من هذه الآية نهي الّذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نقض عهده(3) ويكشف التركيب عن مسؤولية الواقفين في تلك الحالة القلقة عن ايجادهما فاتخادهم إيمانهم دخلا، جعل أقدامهم تزل وعرضهم للسوء في قوله تعالى (وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ) [النحل94] فهي إذن حالة خاصة، أوصلت إليها أفعال مذمومة [1].

وتصور الآية (وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ) [النحل127] حال الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في مكة بعد أن اشتد مكر الكفار بهم ، وتكشف عن الحال التي سيؤولون إليها إن هم ظلوا منفعلين بمكر الكفار، وكأن الصورة، وهي تعترف بأذى المكر ترفض أن يحل في غير محله ، أو أن يفعل غير فعله، وهي لا تسمح بأن يزاول نشاطه في الداخل كما يزاوله في الخارج ، فإذا سمح له بذلك فسيركز له في الداخل قاعدة ينطلق منها إلى الخارج ، ليضرب في النهاية حول المسلمين سورا ليسجنهم في إطاره، وكأن الضيق إذا قوى صار كالشيء المحيط بالإنسان من كل الجوانب ، ولا ينسجم هذا الانغلاق مع الدين الذي أنزله الله ، وهو منفي بمعية الله المؤيدة للرسول ودينه وأتباعه وذلك في قوله تعالى(إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ) [النحل128].[2]

[1] الألوسي، المصدر نفسه، ج14، ص 222.

[2] ينظر: الرازي، المصدر السابق، ص144.

2 : التشبيه:

يكشف التشبيه في قوله تعالى (أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ)[17] عن أعلى درجات التباين بين طرفية ، "ومن يخلق ، ومن لا يخلق" ، وتنطوي فاعلية التشبيه تحت الاستفهام الإنكاري وتقريب الصورة بين طرفيها إلى درجة الإلصاق حتى لا يفصل بينهما سوى الكاف المهموسة ، ثم يبدأ الطرفان بالافتراق والتباعد ، وعامل التباعد هي الصفة التي قامت الصورة عليهما وهي الخلق ،ولم يسند كفار مكة تلك الصفة إلى غير الله ، ما يجعل الصورة تعمل في عقولهم ونفوسهم ويشكل النص السابق لها واللاحق بها عمقا لها فهي تشد إليها كل الدلائل التي تضمنتها الآيات،لتنال بذلك درجة عالية من التكثيف والإيحاء وعلى المستوى الفكري تثير هذه الصورة فاعلية التفكير وقد تقاطعت مع الاستفهام ، أو لنقل أحيطت به من قبلها ومن بعدها في قوله تعالى(أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) [النحل17] وبعد أن تثمر على المستوى الفكري ، تنشط على المستوى النفسي ، إذ يعني الايمان بالخالق "اللجوء إليه وطلب العون منه"[1]

ويتناول التشبيه في قوله تعالى(وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) [النحل77] أمر الساعة وما تعنيه من تغيرات شاملة وما تفضي إليه من انقلاب الحياة بأسرها إلى وجه آخر ، وإبراز ما في هذا التشبيه من دلالات السرعة ، والمعنى " أي هو عند الله وإن تراخى كما تقولون أنتم في الشيء الذي تستقربونه هو كلمح البصر ، أو هو أقرب " غير أن دلالات أخرى تنبثق من الصورة ، لتكشف عنها حركة العين المخصوصة وهي اللمح ، ولمح البصر هو عبارة عن انتقال الجسم المسمى بالطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها[2]

وفي الآية (وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا) [النحل92] تعميق لفاعلية الصورة الواردة في الآية السابقة لها(وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ) [النحل91] إذ تتوسع دائرة الصورة

[1] المصدر نفسه، ص145.

[2] الزمخشري، الكشاف، ج2، ص421.

وتمتلئ فراغاتها فيبدو نقض اليمين عملية هدم في أعقاب عملية البناء ، والبناء حصيلة جهود متواصلة وإجراءات دقيقة أفضت إلى ذلك البناء المحكم ، ويترك إنجازه في النفس آثارا إيجابية تحيل إلى معاني الحياة ثم لا تلبث هذه المعاني أن تتلاشى ، بل لا تلبث أن تمر على يد الباني لها ، ولا يخفى أن الغاية من الصورة تتجاوز التوضيح والإبانة إلى تنمية روح البناء ولفت الأنظار إلى عوامل استقراره ، وهنا تتقاطع البنية الفكرية والسياسية والاجتماعية والمادية في اعتمادها جميعا على عوامل تضمن لها قوة نسجها وإحكامها مع الانتباه إلى ضرورة الحفاظ عليها من أي خطر يهددها.[1]

وتتوسع الصورة ويبقى البناء عنصرا فعالا في تكوينها وذلك في قوله تعالى(وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ)[النحل112]

والقرية هنا تشمل البنية المادية بالأبنية الاجتماعية[2] ، وهي ألفاظ تستقصي الحياة الطيبة من أطرافها ، وفي الحديث عن القرية ، وهي تدل في الأصل على الأبنية المادية ما يزيد من نشاط السورة ، إذ أسندت صفات الأمن والاطمئنان والرزق الواسع إليها ، وهي ترتد في الحقيقة إلى أهلها ما يشعر بدرجة الهدوء وبالحياة الطبيعية المستقرة استقرار الأبنية المادية ، مبعدة بذلك صخب الناس ومنازعاتهم

مبقية على دلائل الحركة ، وتبدو في الصورة فاعلية الجوع والخوف متحدين في لباس واحد ، وهما متزامنتان في الأداء لا متعاقبتان ، وتتخد فاعلية اللباس شكل الإذاقة ، والذوق حاسة عضوية يؤديها اللسان ، ما يكشف عن تفاعل مباشر يفوق تفاعل السمع والبصر ، وأمّا إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف ، فلأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ، فكأنه قيل " فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف " وقد يكشف الترتيب المتداخل في الآية (فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ

[1] المرجع السابق، ص421.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص430.

وَٱلۡخَوۡفِ)[النحل112] عن تداخل حياتهم واختلاط أمورهم على نحو غريب ، وهذه صورة من ينعم الله عليه فيتنكر للنعم ، إذ جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا.[1]

3 : المجاز

تتضمن الآية (فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ) [النحل 98] صورة قائمة على المجاز ، والمعنى " إذا أردت قراءة القرآن فاستعد " ، فإن قلت لم يعبر عن إرادة الفعل بلفظ الفعل؟ قلت لأن الفعل يوجد عند القصد والإرادة بغير فاصل وعلى حسبه ، فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة[2] ، ويرى بعض العلماء أن الاستعاذة أمّا الأكثرون من علماء الصحابة والتابعين فقد اتفقوا على أن الاستعادة مقدمة على القراءة ، ورغم أن هذا هو المطلوب أداء إلاّ أن الآية أوحت بغيره ، مايدل على أن معاني ثانية وهي معاني يتفاعل فيها المعنى الحقيقي والمجازي ، ويتقدم هذا المرة ويتقدم ذاك الأخرى ، وتسفر عن دمج القراءة بالقرآن عند التهيؤ لها ، وكأنهفي تلك الحالة دخل إلى مجال القرآن فأفاض عليه من نوره وأمده بما يحفظه من الشيطان وهو مازال على وشك الدخول في القراءة.[3]

وتقوم الآية في قوله تعالى (وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ)[النحل126] على المجاز أيضا ، أي " إن أردتم المعاقبة " ، وقد عبر عنه بالعقاب على طريقة إطلاق اسم المسبب على السبب ، والاتجاه العام الذي تسير إليه الآية هو تفضيل العفو ، بأمارة في قوله تعالى ﴿وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ) [النحل126] وهذا تصريح بأن الأولى ترك ذلك الانتقام ، لأن الرحمة أفضل من القسوة ، مادام هذا متجه الآية فلا بد أن تتظافر الوسائل للوصول إليه ومنها أسلوب المجاز بعلاقته

[1] المرجع نفسه، ص431.
[2] المرجع نفسه، ص428.
[3] ينظر: الرازي، التفسير الكبير، ج20، ص116.

القائمة على إحضار العقاب إلى النص ، فإحضاره إلى النفس ما يوحي بأنه ممكن وفي حكم القائم وهذا يسهم في إطفاء جدوة الغضب ، ويعزز عوامل العفو عند الاقتدار على العقوبة[1]

وفي الآيـــــة ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل103]

مجاز علاقته الآلية إذ اللسان آلة الكلام ، واللسان مجاز مشهور عن التكلم ، غير أن إسناد العجمة والفصاحة إليه وهو العضو المعروف ، يوحي بأن العجمة في الأول مستوطنة شأن العيوب العصية على العلاج ، وكذا الشأن في الفصاحة ، فهي متأصلة في القرآن تأصل الصفة الخلقية في موصوفها ،و المجاز المرسل يعمد إلى عملية ذهنية ، ينتقي العقل فيها وحدة معينة من الوحدات التي يتضمنها مفهوم الكلمة وهذه العملية بمثابة تركيز أو تبئير يسلط العقل فيها أضوائه على عنصر معين من الحقيقة دون العناصر الأخرى.[2]

وهذا الاختيار القرآني للفظة لسان ، وتسليط العجمة والفصاحة عليها يتفق مع الغاية التي تريدها الآية ، وهي الكشف عن بطلان افترائهم بخصوص تعليم ذاك الأعجمي القرآن للرسول عليه الصلاة والسلام ، وهي إذ تلجأ إلى هذا الاختيار المجازي تكشف جهل المفترين وتكبتهم.[3]

[1] الألوسي، روح المعاني، ج14، ص257.

[2] يوسف أبو العدوس، المجاز المرسل والكناية، الأبعاد المعرفية والجمالية الأصلية،الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 1998م، ص108.

[3] الألوسي، المصدرالسابق، ص 133

خاتمة

توصلنا بعد خوضنا غمار هذا الموضوع الذي يحمل عنوان " الظواهر الأسلوبية ودلالاتها في سورة النحل " وفقا للمنهج الذي بيناه في المقدمة إلى أبرز النتائج ، ويمكن إجمالها على النحو التالي:

- كشفت الدراسة الصوتية وجود توازن في إيقاع السورة تجلى في توزع مقاطعها وتتاليها ، ظهر في آياتها انسجام موسيقي قائم على المواءمة بين الأصوات المرققة والمفخمة والموازنة بين الأصوات الطويلة في مدتها والقصيرة ، وانسجمت الصوامت مع الحركات لتحدث جرسا خاصا ، وارتفعت السورة بايقاعها وانسجام أصواتها عن النثر وتميزت به عن الشعر.
- ظهرت علاقة طبيعية بين أصوات بعض الكلمات ودلالاتها ، الأمر الذي عزز الدلالة العرفية وأغناها.
- أبرزت الدراسة ألفاظا وتعبيرات اتسمت بغنى دلالاتها وكثافة إيحاءاتها ، ما ترك للمتلقي مساحة واسعة للتفاعل مع النص ومحاولة الوصول إلى غاياته.
- تفاعل أسلوب الشرط مع غيره في إحكام الروابط داخل النص وتنظيم علاقاته ، وكان لاختلاف الأداة أثر في توجيه الدلالة.
- أدى أسلوب الحال دورا تصويريا بتسليطه الأنظار على أحوال مقصودة ومختارة مبرزا ايّها راهنة حية.
- كان للتقديم دوره في إظهار العناية بالمقدم ولفت انتباه المتلقي إليه ، وذلك بإحضاره إلى الذهن أولا ليكون أصلا وما يتلوه ملحقا.
- أشاعت الجمل الفعلية بأفعالها المضارعة في السورة جو الحركة وأسهمت في تصوير المواقف المختلفة ، وتجلت المعاني العقائدية اليقينية في الأفعال الماضية والجمل الاسمية.
- ازدحمت السورة بالمؤكدات وكان لكل شكل من أشكال التوكيد خصوصية دلالية.
- كثر في السورة خروج الاستفهام عن أصله ، فأفاد أغراضا دلالية أخرى برز منها التقرير والإنكار والتوبيخ و التهديد.

- تعزز نشاط الصور البلاغية في السورة من استعارة وتشبيه ومجاز وتضاعف أثر دلالتها حين تفاعلت مع السياق.
- مستويات التحليل في حقيقة الأمر هي مستوى واحد ، فالمتلقي عند سماعه للقرآن لا يميز بينها ، لكن عملية الاستيعاب تمر بمراحل لترسم الصورة والفكرة التي تحملها في ذهن المتلقي.
- وبعد ، فقد اتسمت هذه السورة المكية بقوة التعبيرات وحرارتها ، تجلت في الحركة الدائبة المنتظمة في إطار نسيج لغوي محكم ، الأمر الذي يستدعي إلى الأذهان خلية النحل بنشاطها وانتظامها في بنيتها وأداءها .

قائمة المصادر

والمراجع

* القرآن الكريم

1. إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، مكتبة أنجلو المصرية ،ط 5 ،القاهرة ، 1975م.

2. الألوسي ، أبو الفضل شهاب الدين ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ج14 ، دار الفكر ، (دط) ، بيروت (دت)

3. الأنباري كمال الدين أبو البركات ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج 2 ، دار المعارف ، ط4 ،مصر ،1961م.

4. بدوي أحمد ، من بلاغة القرآن ، مكتبة النهضة ، ط 3 ، القاهرة ، 1950م.

5. البقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب ، إعجاز القرآن ، تح : السيد أحمد الصقر ، دار المعارف ، ط 3 ، مصر ، (د ت) .

6. بيرجيرو ، الأسلوبية ، تر: منذر عياشي ، دار الحاسوب ، ط 2 ، بيروت ، 1994م.

7. جلال الدين عبد الرحمان ، الإيضاح في علوم البلاغة ،ج 1 ، تحقيق لجنة من أساتدة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر ، مطبعة المحمدية ، (د ط) ، القاهرة ، (د ت).

8. جمال الحضري ، المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع ، ط1 ، 2010 م.

9. ابن الجوزية ، محمد بن أبي بكر ،كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان ، دار إحياء الكتب العربية ، ط 1 ، القاهرة ،(د ت).

10. حازم القرطاجني ، أبو الحسن ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء تح : محمد بن خوجة ، دار الكتب الشرقية ،(د ط) ، القاهرة ،(د ت).

11. حسان تمام ، البيان في روائع القرآن ،عالم الكتب ، ط1 ،القاهرة ، 1993م.

12. حمادي محمود ، التفكير البلاغي عند العرب أسس و تطور ، منشورات الجامعة التونسية ،(د ط) ، تونس ،1981م .

13. حميدة مصطفى ، نظام الارتباط و الربط في تركيب الجملة العربية ، مكتبة لبنان ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، ط 1 ،مصر ، 1997م.

14. رابح بن خوية ، مقدمة في الأسلوبية ، مطبعة نير ، ط 1 ، سكيكدة ، 2007.

15. ريمون طحان ، الألسنية العربية ، ط 2 ، بيروت لبنان ، دار الكتاب اللبناني . (د ت) .

16. الزمخشري ، أساس البلاغة ، دار الفكر ،ط1 ،لبنان ، 2000م.

17. سيبويه ، أبو بشر عمرو ، الكتاب ، ج 2 ، تح:عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، دار الرفاعي ، ط 2 ، الرياض ، 1998م.

18. سيد قطب ، في ظلال القرآن الكريم ، ج13 ، دار إحياء التراث العربي ، ط1 ، بيروت ، 1971م.

19. السيوطي ، عبد الرحمان بن أبي بكر ، الإتقان في علوم القرآن ، ج 2 ، الملاح ، ط 1 ، دمشق ، 1987م.

20. شكري محمد عياد ، إتجاهات البحث الأسلوبي ، أصدقاء الكتاب للنشر و التوزيع ،ط3 ، القاهرة ، 1989م.

21. الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ، فتح القدير ، ج 2 ، دار الكتب العلمية ، (د ط) ، بيروت ، (د ت).

22. شيلنر بوند ، علم اللغة و الدراسات الأسلوبية (دراسة الأسلوب ، البلاغة ، علم اللغة) ، تر: محمود جاد ،ط 1 ، الرياض ، 1987م.

23. صلاح فضل ، علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته ، دار الكتاب ، ط 2. بيروت ، 1998م.

24. عاشور محمد الطاهر ، تفسير التحرير و التنوير ، ج1 ، الدار التونسية للنشر ، (د ط) ، تونس ، 1984م.

25. ابن العباس محمد إبن

26. عبد السلام المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب ، الدار العربية للكتاب . (د ط) تونس ، 1977م .

27. عبده الراجحي ،علم اللغة و النقد الأدبي ، علم الأسلوب ، ط 1 ، القاهرة ، (د ت) .

28. عثمان مصطفى الجبر ، الدراسات الأسلوبية العربية بين النظرية و التطبيق ، وزارة الثقافة ، ط1 ،عمان ، 2007م.

29. عدنان بن ذريل ، النص والأسلوبية بين النظرية و التطبيق ، إتحاد كتاب العرب ، (د ط) ، سوريا ، 2000م.

30. العمادي ، إرشاد العقل السليم إلى القرآن الكريم ، ج 5 ، دار إحياء القرآن العربي ، ط 1 ، بيروت ، (د ت).

31. عمر أحمد مختار ، دراسة الصوت اللغوي ، عالم الكتب ، ط1 ، القاهرة (د ت).

32. الغانمي سعيد ، أقنعةالنص قراءات نقدية في الأدب ، دار الشؤون التثقيفية ، ط 1 ، بغداد ، 1991م.

33. ابن فارس ، أبو الحسين أحمد ، معجم المقاييس في اللغة ، تح: شهاب الدين ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ط1 ، بيروت ، 1994م.

34. فتح الله سليمان ، الأسلوبية مدخل نظري و دراسة تطبيقية ، دار الآفاق ، ط2 ، بيروت ،(د ت).

35. القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمان ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ج2 (ت ج) ، لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر ، مطبعة السنة المحمدية ، (د ط) ، القاهرة ، (د ت) .

36. القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمان ، التلخيص في علوم البلاغة ، دار الكتاب العربي ، (د ط) ، بيروت ، (د ت).

37. كمال بشر ، التفكير اللغوي بين القديم و الجديد ، القاهرة ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ،(د ط) ، 2005م.

38. محمد عبد المطلب ، البلاغة و الأسلوبية ، إشراف محمد علي الملكي ، دار نوبل ، ط1 ، القاهرة ، 1994م.

39. محمد عبد المنعم خفّاجي ، الأسلوبية و البيان العربي ، الدار المصرية الليسانية لطباعة و النشر و التوزيع ،ط2 ، 1998م.

40. محمد عزام ، الأسلوبية منهجا نقديّا ، دار الآفاق ، ط 1 ، بيروت ،1989م .

41. محمد فخر الدين الرازي ، تفسير فخر الدين المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ،دار الفكر ، ط1 ، دمشق ،1981م.

42. المصري عبد الله بن يوسف ، رسالة المباحث المرضية ،ج 1 ، تح: مازن مبارك ، دار إبن كثير ، ط1 ، القاهرة ، (د ت).

43. مصطفى صادق الرافعي ، الإعجاز في القرآن و البلاغة النبوية ، دار الكتاب العربي ، ط9 ، 1973م .

44. منظور محمد إبن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر ، ط 3 ، بيروت ، 1994م.

45. المؤيد بن الأنياري ، في مقاصد القرآن ، ج 7 ، المكتبة العصرية ،(د ،ط) ، بيروت ، 1996هـ .

46. نور الدين السد ، الأسلوبية و تحليل الخطاب ،ج 1 ، دار هومة ،(د ط) ، الجزائر ، (د ت).

47. ابن هاشم الأنصاري ،مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ج 1 ، دار إحياء الكتاب ،(د ط) ، دمشق ،(د ت).

48. يوسف أبو العدوس ، البلاغة و الأسلوبية ، دار المسيرة للنشر و التوزيع ، ط 2 ، القاهرة ، 2008م.

49. يوسف أبو العدوس ، الأسلوبية بين الرؤية و التطبيق ، دار المسيرة للنشر و التوزيع ، ط 1 ، القاهرة ، 2007 م.

50. يوسف أبو العدوس ، المجاز المرسل و الكتابة ، الأبعاد المعرفية و الجمالية الأصلية ، الأهلية ، للنشر و التوزيع ، ط 1 ،عمان ، 1998م.

51. يول براون ، تحليل الخطاب ، تر: محمد لطفي ، النشر العلمي و المطابع ، (د ط) ، جامعة الملك سعود ، 1997م.

52. أبو العباس محمد بن يزيد ، المقتصب ، تح: عبد الخالق عصيمة ، عالم الكتب ،(دط) ،بيروت ، (دت)

المجلات

1. عبد السلام المسدي ، محاولات في الأسلوبية الهيكلية ، مجلة الموقف الأولى ، إتحاد الكتاب العربي ، العدد 354 ، دمشق سوريا ، 1997.

2. عبده الراجحي ، علم اللغة والنقد الأدبي ، علم الأسلوب ، مجلة الفصول ، عدد 2 ، مصر ،1981م.

3. محمود عيان الأسلوبية الحديثة ، محاولة تعريف ، مجلة الفصول عدد 2 ، مصر ، 1981.

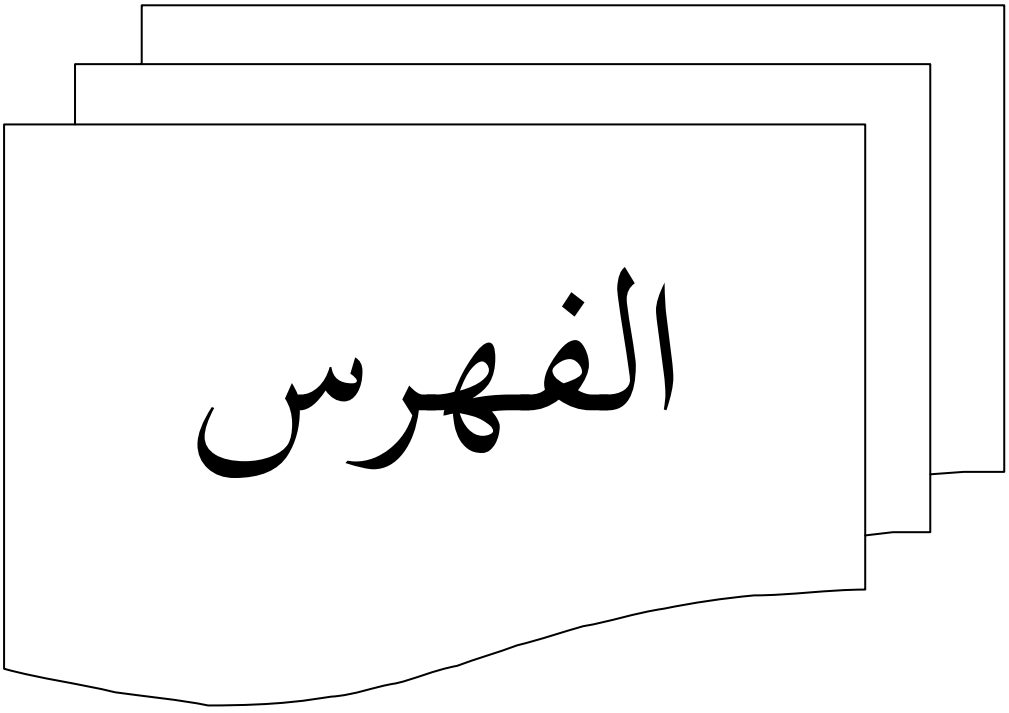
الفهرس

مقدمة:..... أ

المبحث الأول : الأسلوب والأسلوبية. 9

المطلب الأول : تعريف الأسلوب والأسلوبية : 9

أولا : تعريف الأسلوب لغة : 10

تعريف الأسلوب اصطلاحًا : 10

ثانيا : تعريفات الأسلوبية :.....11

المطلب الثاني : محددات الأسلوب :.....15

المطلب الثالث : مفهوم الأسلوب عند النقاد القدامى والمحدثين :.....17

المطلب الرابع : نشأة الأسلوبية 21

المطلب الخامس :علاقة علم الأسلوب والأسلوبية بعلم اللغة واللسانيات والبلاغة: 23

أولا: علاقة علم الأسلوب والأسلوبية بعلم اللغة:.....23

ثانيا : علاقة الأسلوبية باللسانيات: 25

ثالثا : علاقة الأسلوبية بالبلاغة : 28

المطلب السادس :مستويات التحليل.....29

أولا : تحليل الأصوات : 29

ثانيا : التحليل التركيبي : 30

ثالثا: تحليل الألفاظ : 32

المبحث الثاني :المقاييس في الدراسة القرآنية 32

مطلب الأول: المستوي الصوتي :..... 33

المطلب الثاني : المستوى اللفظي : 34

المطلب الثالث : المستوى التركيبي (التأليفي) 35

المطلب الرابع: المستوى الدلالي: 35

المطلب الخامس : المستوى البلاغي : 36

المبحث الأول: التعريف بسورة النحل و أسباب نزولها. 40

1: التعريف بسورة النحل..... 40

2: أسباب نزولها..... 41

المبحث الثاني :المستوى الصوتي 42

1 البناء الصوتي للكلمات : 42

2 : الايقاع في مستوى الصوت 49

3 : الانسجام الموسيقي..... 52

المبحث الثالث : المستوى الدلالي 54

1: ايحاءات الالفاظ..... 54

المبحث الرابع المستوى التركيبي..... 62

1 : الشرط..... 62

1/1 : جملة الشرط المبدوءة بـ (ان)٠ 63

1/2 : جملة الشرط بـ (إذا): 64

1/3 : جملة الشرط بـ (لو): 64

1/4 : الشرط بـ(ما): 65

1/5 : الشرط بـ (أينما): 66

1/6 :أسلوب الطلب: 67

2 :الحال 68

المبحث الرابع : المستوى البلاغي : 73

1 : الاستعارة :..... 73

2 : التشبيه: 77

3 : المجاز 79

اللَّهُمَّ عَلِّمْنِي

مَا يَنْفَعُنِي

وَانْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي

وَزِدْنِي عِلْمًا